المكان في شعر ابن زيدون

رسالة تقدمت بها

ساهرة عليوي حسين العامري

إلى

مجلس كلية التربية –جامعة بابل

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في آداب اللغة العربية

بإشراف

أ.د هناء جواد عبد السادة

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

((وَلِيَعـلَمَ الَّـذِينَ أُوتُـوا العِلـمَ أَنَّـهُ الحَـقُّ مِـن رَّبِـكَ فَيُؤمِنُواْ بِـهِ فَتُخبِتَ لَـهُ قُلُـوبُهُم وَإِنَّ اللَّـهَ لَهَادِ الَّـذِينَ امَنُواْ إِلَى صِرَاطٍ مُّستَقِيمٍ))

صدق الله العلي العظيم

سورة الحج / آية (٥٤)

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم
((وَاذكُر فِي الكِتـَبِ مَريَمَ إِذِ انـتـَبـَذ َت مِن أَهلِهَـا مـَكَانا ً شـَرقِيـّا ً))
صدق الله العلي العظيم
مريم/١٦

براً وإكباراً   وفاءً وحناناً

تكريماً وإيثاراً   إخلاصاً واعتزازاً

حناناً ومحبة

الى
رمز الإيثار .... الذي رعاني صغيرة وكبيرة

أبي الغالي

الى الدفء والحنان الذي رواني ....الى من غرست في نفسي الإرادة والعزم

أمي الحنونة

الى عنوان الحنان وبر الأمان ....كل الناس وأغلى الناس

زوجي العزيز

الى منبع الحب والاعتزاز

أخوتي...............
أخواتي.......................

اهدي ثمرتي الأولى بين أيديهم

شكر وتقدير

يروق لي أن أتقدم بكلمة شكر قاصرة عن إيفاء أناس كثيرين حقهم لأنهم كانوا متفضلين بعطائهم ومواقفهم النبيلة التي ستبقى دينا يطوق رقبتي مدى الحياة، مقدمة أساتذتي المشرفة الدكتورة هناء جواد عبد السادة بشكري هذا، لما أبدته من جهود قيمة نبهتني لأخطاء غفلت عنها فكانت عونا لي، كما لا أغفل تشجيعها لي وتواصلها معي طيلة مدة كتابة الرسالة وقبلها فكانت نعم الأستاذة ونعم الأم ...

ويسعدني أن أقدم خالص شكري وتقديري الى الدكتورعبود جودي الحلي الذي منّ عليَّ بوقته، وأغدق عليَّ من علمه وجهده الشيء الكثير فجزاه الله عني خير الجزاء.

كمااتقدم بكلمة شكر وتقدير الى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور علي ناصر غالب الذي كان نعم الأب لطلبة الدراسات العليا.

وأتقدم بالشكر الجزيل الى رئيس قسم اللغة العربية الدكتور عامر الخفاجي لما قدمه لي من مساعدة ورعاية كريمة، كما أتقدم بوافر الشكر والامتنان الى أساتذتي الأفاضل اخص منهم د. قيس حمزة الخفاجي ود. عباس محمد لما تفضلوا به من علم واراء قيمة افادت البحث، وأتقدم بأسمى آيات الشكر الى الدكتور علي ابراهيم والأستاذ الدكتور سعيد حسين علي الجبوري لرعايتهما العلمية بتوفير المصادر والمراجع المهمة والحديثة التي اغنت البحث كثيرا، وأسجل أروع معاني الوفاء وأخطها بحروف من ذهب لأقدمها الى والدي الغالي الذي ذلل لي صعوبات الحياة بما مَنَّ عليَّ من تشجيع ورعاية أبوية فله مني كل الحب والاحترام وأمد الله في عمره،ولا يفوتني أن أقدم أعمق آيات الوفاء والثناء والمحبة الى زوجي الأستاذ حسين حسون الذي واكب معي البحث حتى غدا بهذه الصورة فكان لي نعم الزوج المخلص فله مني كل الحب والإخلاص لموقفه النبيل.

وأخيراً كلمة شكر الى كل من قدم لي المساعدة وأراد لي الخير.

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

إقرار المشرف

أشهد أن اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (المكان في شعر ابن زيدون) التي تقدّمت بها الطالبة (ساهرة عليوي حسين) قد جرى بإشرافي في كلية التربية . جامعة بابل، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في آداب اللغة العربية .

الإمضاء :

أ.م.د. هناء جواد عبد السادة

(المشرف)

التاريخ : / / ٢٠٠٨

بناء على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الرسالة للمناقشة

ا

الإمضاء :

أ.م.د. عامر عمران الخفاجي

(رئيس قسم اللغة العربية)

التاريخ : / / ٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا اعضاء لجنة المناقشة قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(المكان في شعر ابن زيدون) التي تقدمت بها الطالبة (ساهرة عليوي حسين)، وقد ناقشنا الطالبة في محتويتها، وفي ماله علاقة بها، ونرى انها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في آداب اللغة العربية بتقدير ( ).

الإمضاء :
الاسم :
التاريخ : / /٢٠٠٧
(عضوا)

الإمضاء :
الاسم :
التاريخ : / /٢٠٠٨
(عضوا)

الإمضاء :
الاسم :
التاريخ : / /٢٠٠٧
(عضوا)

الإمضاء :
الاسم :
التاريخ : / /٢٠٠٨
(عضوا)

صادق مجلس كلية التربية في جامعة بابل على قرار لجنة المناقشة

الامضاء :
الاسم :
(عميد الكلية)
التاريخ : / / ٢٠٠٨م

المحتويات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، مالك يوم الدين ، والصلاة والسلام على نبيه الامين محمد بن عبد الله وعلى اله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم من الصديقين الى يوم الدين .

وبعد ..

يذهب هذا البحث الى دراسة المكان عند ابن زيدون من خلال تجربته الانسانية التي عكست الرؤية الشعرية للذات المبدعة .

ان مادفعني الى اختيار هذا الموضوع للبحث دافعان، اولهما: اعجابي بالتجربة الشعرية عند ابن زيدون ، وثانيهما: هوىً في نفسي . قد لااجد له تعليلا بأن تكون دراستي مشتملة على شئ من الفلسفة وعلم النفس وانا على يقين من ان أية تجربة ادبية تعني بدراسة المكان انما تضرب على شئ من ذلك.

لقد سبقت هذا البحث بحوث شتى ، حاولت ان افيد منها افادة المتعلم من بينها دراسة الدكتور حبيب مؤنسي[١] ودراسة حسن مجيد العبيدي[٢] ودراسة الدكتور محمد عويد محمدساير[٣] وعلى الرغم من عنايتهم بموضوعات المكان وتماثلها مع

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي، د.حبيب مونس .
(٢) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسن مجيد العبيدي.
(٣) المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي،(٤٨٤-٨٩٧هـ).

موضوع دراستنا الا اننا ارتسمنا منهجا مختلفا تماما عن كل الدراسات السابقة . وقد اعتمدنا الديوان[1] مصدرا اساساً لدراستنا،

يقع البحث في ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة تضمنت النتائج التي تمخض عنها البحث ثم قائمة بمصادر الدراسة ومراجعها.

فقد عرضت في التمهيد المعنى اللغوي والاصطلاحي والفلسفي للمكان كما بينت اهمية المكان في الادب ثم وقفت عند ابن زيدون وتجربة المكان في شعره.

اما الفصل الاول فخصص لدراسة تشكيلات ثنائية المكان الاليف والمكان المعادي الموضوع في مبحثين، المبحث الاول يهتم بدراسة المكان الموضوعي الواقعي الاليف. في حين خصص المبحث الثاني لدراسة المكان غير الاليف.

وفي الفصل الثاني درستُ تشكيل الدلالات المكانية في مبحثين، إذ درستُ في المبحث الاول دلالة المرأة وفي الثاني دلالة الطبيعة.

---

(١) طبع ديوان ابن زيدون عدة طبعات وهي بحسب التسلسل الزمني:
أـ ديوان ابن زيدون ، تحقيق كامل كيلاني وعبد الرحمن خليفة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٢.
ب- ديوان ابن زيدون تحقيق علي عبد العظيم ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
ج - ديوان ابن زيدون حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل ابياته حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، (د-ت).
د - ومن اهم ثمار دورة ابن زيدون التي عقدتها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري بالتعاون مع جامعة قرطبة باسبانيا خلال الفترة (٢ـ ٨ اكتوبر تشرين الاول من عام ٢٠٠٤) توزيع بعض الموضوعات المهمة التي كان من بينها ديوان ابن زيدون ورسائله (٧٨٤صفحة) شرح وتحقيق علي عبد العظيم (مدير ادارة المخطوطات بدار الكتب المصرية سابقا) تقديم ومراجعة د. محمد احسان
وقد تمكنت من الحصول على نسخة هذا الديوان بعد متاعب كثيرة واجهتها استاذتي المشرفة د. هناء جواد فحصلنا على النسخة الجديدة مطبعة الكويت (٢٠٠٤) ، وقد كتب د. احسان النص مقدمة اضافية بعنوان ((افاق الابداع في شعر ابن زيدون)) وفيها يتعرض الكاتب الى الشعر الاندلسي بشكل عام، والى ثقافة الشاعر، والطبيعة الاندلسية، والمجتمع الاندلسي ونشأة الشاعروطبيعته ومزاجه، وتجاربه، والاحداث التي مر بها، ثم يتعرض للابداع في المعاني عند ابن زيدون، والى الاداء الشعري الذي هو مجاله الابداعي المتألق، فلأبن زيدون ذائقة في اختيار الالفاظ المناسبة للموضوع الذي يعالجه، وقد اعتمدنا هذه النسخة في دراستنا.

اما الفصل الثالث فخصص لدراسة تشكيلات المكان الحلمي المتخيل وقد كان في مبحثين، الاول تمثل بدراسة المكان الحلمي المعيش المتمنى الرجوع اليه.

والثاني خصص لدراسة، المكان الحلمي غير المعيش المتمنى الحصول عليه.

وفي نهاية المطاف اقول بشأن صعوبة هذا الموضوع، انها لاتقتصر على الرهبة التي يشعر بها الباحث حينما يتعمق في دراسة ((الانسان/المكان)) بل تتعدى الى الشمولية الناجمة عن طبيعة الموضوع نفسه.

وثمة كلمة اخيرة اشير فيها الى ان هذه الدراسة ليس من منهجها ان تعني بحياة الشاعر والظروف التي مرّ بها، لانها دراسة نصية تبحث عن المكان في شعر ابن زيدون الذي كان مبعث الحنين والحسرات والآهات ومحرك الشعور، والكاشف عن اعماق الذات المعذبة بسبب فراقها للأهل والأحباب والمغتربة عن الاوطان . وكان شعره ظاهرة أدبية متميزة شكلا ومضمونا . وفي ضوء هذا التحليل سارت دراستي.

ولا اقول وانا ابلغ نهاية مطاف رحلتي اني وفيت البحث حقه لكنني بذلت جهدي في البحث والاستقصاء والمراجعة وكانت استاذتي المشرفة د. هناء جواد عبد السادة خير عون لي، لما ابدته من رعاية وتوجيه ، فاتقدم بوافر الشكر والامتنان لها وجزاها الله عني كل خير.

التمهيد

التمهيد

الدنيا ((وجود / عدم)) ثنائية تقتسم كل الخلائق فيها ،فإذا كان الوجود قابله العدم، وإذا لم يكن الأول لم يكن الثاني والعكس صحيح، ولا يعرف المعنى لشيء إلا بوجود الضد.

والوجود مقترن بمكان يقوم عليه ، فكل حدث لا يحدث في فراغ، وإنما يشغل مكانا ويقترن بزمان. فالمكان منذ فجر التفكير الإنساني الفلسفي، ظاهرة على جانب كبير من التعقيد في المفهوم والدلالة ، تضاربت فيها الآراء، واختلفت التوجهات، وتعددت زوايا النظر، ولا ريب أن البعد الفلسفي لظاهرة المكان مما أسهم في صيغة الإشكالية ، على المستويين الفلسفي والأدبي، ففي الوقت الذي نجد فيه إجماعا على مفهومه اللغوي، نجد إن مفهومه الاصطلاحي متسع ومتعدد، باتساع حلبات الأدب والفلسفة(١).

وتتنوع الأمكنة، وتتعدد الفضاءات، وبقدر ما تحيل على أماكن واقعية حقيقية، بقدر ما ينم استعمالها وتوظيفها بطريقة متخيلة مرتبطة بروى الشخوص الفكرية، وبمخزون الذاكرة، وأحيانا بالحلم وطيف الخيال...

(١) المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب البيجاري ، ص٢ .

أولا: المكان لغة

جاء في معاجم اللغة إن المكان هو موضع لكينونة الشيء فيه [1]، وهو ((مكان الإنسان وغيره)) [2] وهو ((الموضع الحاوي للشيء)) [3] وهو اسم مشتق من الكون، مصدر كان يكون كونا وكينونة، والكون : الحدث تقول العرب لمن تَشْنَؤُهُ : لا كان ولا تكون، لا كان : لا خْلق، ولا تكون : لا تحرك، أي مات.. [4]

وهذا يعني إن المكان اسم مشتق للدلالة على موضع الحدث والخلق والوجود والاستقرار والصيرورة. و((حين نضيف المكان الى الإنسان نحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على صيرورة الحياة الإنسانية : فالمكان هو الموضع الذي (يولد ويخلق ويوجد) فيه الإنسان والموضع الذي يستقر فيه...)) [5]

وللمكان مرادفات تستعمل في اللغة للدلالة عليه منها : الخلاء [6]، والمحل [7] والملاء [8]، وألاين [9]، والحيز. [10]

---

(١) ينظر: العين ، الفراهيدي ،ج٥/٣٨٧ .
. وينظر: تهذيب اللغة ، الازهري ،ج١/٢٩٤ .
. وينظر: لسان العرب ، ابن منظور، ج١٣/٤١٤ .
(٢) جمهرة اللغة ،ابن دريد ، ج٣ /١٧١ .
(٣) معجم مفردات الفاظ القران ، الراغب الاصفهاني ،ص٤٩١ .
. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ، ج٩/٣٤٨ .
(٤) لسان العرب :مادة كون .
(٥) الانتماء في الشعر الجاهلي ، د. فاروق احمد اسليم ، ص١ .
(٦) ينظر: تهذيب اللغة ، الازهري ،ج٧/ ٥٧١ .
(٧) معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا ، ج٥ / ٣٠٢ .
(٨) ينظر: المثلث ، ابن السيد البطليوس ،ج٢/١٧٣ .
(٩) ينظر: لسان العرب ، ص٤٤ .
(١٠) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد اعلى بن علي الفاروقي التهانوي ، ج١ /٩٨ .

والمكان على ذلك يرد بدلالتين اثنتين:

١. اسم مكان من (كان) التامة [١] وهو يستعمل في الحسيات، وجاء في قوله تعالى ((إذ أنتبذت منْ أهلها مكانا شرقيا))[٢] ويستعمل في المعنويات كقوله تعالى ((أولئك شرُ ً مكانا وأضل عن سواءِ السبيل))[٣]

٢. اسم فعل أمر بمعنى إلزم مكانك [٤] وعليه قوله تعالى ((مكانكم انتم وشركاؤكم))[٥]. وبين الدلالتين تمتد الحياة واسعة عريضة ويأخذ المكان أبعادا مختلفة، ولا يستكمل الدرس اللغوي إلا بالوقوف على مفهوميه الاصطلاحي والفلسفي معا بوصفهما مفهومين متلازمين من حيث الظهور والتداول.

ثانيا:المفهوم الاصطلاحي والفلسفي للمكان

اهتم القدماء بالمكان لما له من ارتباط بالحياة الإنسانية، ونشأ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفيا، مع الفلسفة اليونانية، إذ اخذ هذا المفهوم معنى، يحمل خصائص معينة تميزه عن غيره من المفاهيم الأخرى كالحركة والزمان والتناهي واللاتناهي والجسم الطبيعي. و((يعني بالمكان، فلسفيا، هو ما يحل فيه الشيء أو ما يحوي ذلك الشيء ويميزه ويحده ويفصله عن باقي الأشياء))[٦].

واخذ المكان عند القدماء قبل ظهور الفلسفة طابعا ميثولوجيا وكانوا يعتقدون بأنه ((ينقسم الى ثلاثة عوالم رئيسة، هي السماء والأرض والعالم السفلي، وهي مأهولة بالآلهة والبشر والأموات على التوالي))[١] فقد عبر الاقدمون عن فكرهم

---

(١) الموسوعة القرانية ، نصيف الانباري وعبد الصبور مرزوق ، ص١٢٥ .

(٢) سورة مريم ، الاية ١٦ .

(٣) سورة المائدة: الاية :٦٠.

(٤) الموسوعة القرانية :مج ١٢٥/٤ .

(٥) سورة يونس ، الاية : ص٢٨ .

(٦) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن مجيد العبيدي ، ص١٩.

(١) عالم الزمان . المكان . عند قدماء العراقيين ، زهير محمد ، ص١٠٧،(بحث).

العاطفي.. بلغة السبب والنتيجة، ولعل هذا المنحى من التعليل اقرب إلينا مما يظن البعض فالصور الذهنية لدى الإنسان البدائي، هي صور مظاهر محسوسة، تشير الى مواقع لها لون عاطفي، وقد تكون مسالمة أو معادية، وخارج نطاق التجربة الفردية، تشعر الجماعة بوجود أحداث كونية معينة، تضفي على بعض أجزاء المكان معاني خاصة..[٢] ونجد إن أول استعمال اصطلاحي للمكان في الفلسفة قد صرح به أفلاطون إذ عده حاويا [٣] وقابلا للشيء[٤]. وعرفه بأنه بعد موهوم يشغله الجسم ويسمح له بنفوذ أبعاده فيه [٥]. وهو ((على استعداد لقبول أي حركة وأي شكل من الإشكال))[٦] وبطبيعته انه ((لا يقبل الفساد ويوفر مقاما لكل الكائنات ذات الصيرورة والحدوث، وهو لا يلمس بالحواس، بل يضرب من البرهان الهجين المختلط))[٧] وهذا المكان . بحسب أفلاطون . يبدو((كشرط ضروري لإدراك المحسوسات، أو هو بمثابة الستار الذي تظهر على سطحه صورة الحقائق المنعكسة على المرآة)) [٨].

وجاء بعد أفلاطون مجموعة من الفلاسفة، ومنهم تلميذه أرسطو الذي عرفه بأنه ((الحد اللامتحرك المباشر للحاوي))[٩]، ويرى انه من الممكن إثبات وجود المكان طالما نحن نشغله بالفعل ونستطيع الانتقال منه الى مكان آخر[١]، والمكان

(٢) ينظر: ما قبل الفلسفة ، الانسان في مغامرته الفكرية الاولى ، هـ. فرانكفورت وجماعته ،ص٢٤.٢٢ .

(٣) ينظر: مدخل جديد الى الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي ، ص١٩٦ .

(٤) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي ، الفلسفة اليونانية من طاليس الى افلاطون ، د. محمد علي ابو ريان ،ج١/ص٢٠٥ .

(٥) ينظر: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) لابي البقاء ، ،ج٤/٢٢٤

(٦) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي ، ج١/٢٠٣ .

وينظر: المكان في الشعر المهجري ، حكيم صبري عبد الله ،ص٨ .

وينظر: المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الاموي ، بشائر امير ،ص٣ .

(٧) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن مجيد العبيدي، ص ٢٨.٢٧ .

(٨) تاريخ الفكر الفلسفي ، ارسطو، د. محمد علي ريان، ج١ / ٢٠٥ .

(٩) موسوعة الفلسفه ، د. عبدالرحمن بدوي ، ج ١ / ص ١٠٩ .

(١) ينظر: تاريخ الفكر الفلسفي ، ارسطو ،د. محمد ابو ريان ،ج٢/ ٨٤ .

لديه ينقسم الى قسمين احدهما مشترك يوجد فيه أكثر من جسم واحد، والآخر خاص وهو الذي يوجد فيه كل جسم على حده ويعرفه بأنه الحاوي الأول للجسم[٢].

أما الفلاسفة المسلمون فقد كانت لهم مواقف من فكرة المكان، أخذوها عن الفلسفة اليونانية ، فنجد الكندي (ت ٢٥٢ هـ) سار على خطى أفلاطون وأرسطو وتابع أرسطو في رفضه لفكرة الخلاء ، وهو يحد المكان بحدين، الأول ((نهايات الجسم))[٣] والثاني ((التقاء أفقي المحيط والمحاط به))[٤]، كما سار الفارابي (ت٣٣٩هـ) على نهج الكندي ، ورأى إن المكان ((موجود وبين ولا يمكن إنكاره))[٥].

ونجد مقدارا من الخروج عن هذا المفهوم لدى الرازي (ت٣١٣هـ) الذي حدد أبعاد المكان، ووصفه بالمطلق، أو غير المتناهي، وشبهه بالوعاء ، ويرتبط وجود المكان بمن فيه [٦]. وللحسن بن الهيثم موقف مشابه لموقف الرازي حيث اعتبر إن المكان هو الأبعاد التي قد انطبقت عليها أبعاد الجسم، واتحدت بها .. وما هو إلا ((السطح الباطن من الجرم الحاوي المماس للسطح الظاهر للجسم المحوي))[٧] ولأبي حيان التوحيدي من المكان موقف مماثل لموقف سابقيه الكندي والفارابي، إذ يحده بصيغة سؤال يجيب عنه، فيقول ((يقال ما المكان؟ هو حيث التقى الاثنان المحيط والمحاط به، وأيضا هو ما مس سطح الجسم الحاوي ، وانطباقه على الجسم المحوي))[١]. ويذهب ابن مسكويه الى أن المكان هو ((السطح الذي يحوز المحوي والحاوي))[٢] هو ((السطح المساوي لسطح المتمكن وهو نهاية الحاوي المماسة لنهاية

---

(٢) ينظر: م.ن : ج٢/ ٨٦ .

(٣) رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريدة ،ج١/ ١٦٧ .

(٤) م.ن : ج١/١٦٧.

(٥) رسالة الحروف ، لابي نصر الفارابي ، تحقيق د. محسن مهدي ، ص٨٨ .

(٦) ينظر: اصول الفكر الفلسفي عند ابي بكر الرازي ، عبد اللطيف محمد العبد ،ص١١٤ .

(٧) الحسن بن الهيثم ، سعيد الدمرداش ،ص٣٦٤ .

(١) المقابسات ،التوحيدي ، ص٣٦٤ .

(٢) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،حسن مجيد العبيدي، ص٣٨.

(٣) م.ن : ص١٢١ .

المحوي))[٣] وهو عند ابن رشد ليس الفضاء، بل النهاية المحيطة بالحركة [٤]، وينقسم المكان عند الجرجاني على قسمين، مبهم ومعين، وهو يعرفه على نحو عام بأنه ((الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده))[٥].

ومما تقدم يمكننا القول أن المكان حظي بعناية فائقة من فلاسفة اليونان والفلاسفة المسلمين ومن أفكارهم أخذ المفهوم الاصطلاحي للمكان بعدا فلسفيا.

وإذا انتقلنا الى الفلسفة الحديثة والمعاصرة فإننا نجد أيضا، أنّ مفهوم المكان يشغل أهمية خاصة، فـ ((جيورد انو برنو)) يرى إن المكان والزمان المطلقين ما هما إلا من تلفيق الخيال [٦] في حين يوحد ((ديكارت)) بين مفاهيم المادة والامتداد والمكان[٧]، ويحده بأنه ((الممتد في الأبعاد الثلاثة))[٨].

وانتقد ((ليبتنز)) نظرية ديكارت مبينا إن الامتداد لا يكون جوهرا، فالجوهر وحدة، في حين يكون الامتداد كثرة خالصة ،فهو ينقسم الى ما لا نهاية له، ولا يمكن فهم فكرة المكان إلاّ إذا كانت فكرة الامتداد موجودة ، فنحن حين ندرك المكان لا نحتاج الى تصور أي واقع مطلق خارج الأشياء [١]. وعليه يكون المكان ((ترتيب

---

(٤) ابن سينا فيلسوف النفس البشرية ، عبده الحلو ،ص٣٠.

(٥) التعريفات ، الشريف الجرجاني ، ص٢٤٥.

(٦) ينظر: الفيزياء والفلسفة ، جيمس جينز ،ص٨٦ .

(٧) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية ، معهد الانماء العربي ،ج١ / ٧٨٠ .

(٨) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، حسن مجيد العبيدي، ص٢٠.

(١) ينظر: الموسوعة الفلسفية العربية ، ج١ / ٧٨٠ .

(٢) الفيزياء والفلسفة ، جيمس جينز، ص٨٦ .

(٣) م.ن : ص٨٦.

(٤) مدخل جديد الى الفلسفة ، د. عبد الرحمن بدوي ، ص١٩٧ .

(٥) نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،ص٢٠ .

الأشياء التي تتواجد معا))[٢] أما ((نيوتن)) فيرى أنّ المكان موجود بذاته وليس مجرد تابع للعقل [٣] ، ومن صفاته ((اللاتناهي، والأزلية، والأبدية، والقدم، وعدم الفناء)) [٤] وذهب ((هيوم)) الى إن المكان مكون من ((آنات ولحظات ونقاط منفصلة))[٥] وينطلق ((نقولاي هرتمن)) من ((إن المكان ليس الامتداد ولا الممتد، بل هو ما فيه يمتد الممتد ... فالمكان هو الشرط للامتداد والممتد))[٦].

أما إذا بحثنا عن نصيب المكان في الفكر الفلسفي الحديث بوصفه مقتربا نقديا وجماليا في الفن عامة والأدب خاصة، تطلعنا دراسة الدكتور حبيب مؤنسي الموسومة بـ(فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية) اهتمت بهذا الجانب الحيوي من جوانب الفلسفة لاسيما إنها تناولته تناولا إبداعيا جماليا..[٧]

(٦) ينظر: مدخل جديد الى الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، ص١٩٧ .

(٧) ينظر: فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتيه جمالية، د. حبيب مؤنسي الذي افرد الفصل الخامس والسادس والسابع والثامن لدراسة التجلي الجمالي لموضوعات المكان في الادب.

ثالثا: **المكان في الأدب**

عنصر مهم، يحظى باهتمام بالغ في دراسة النص الأدبي ، ذلك إن الحدث لا يتم ما لم يقع في مكان محدد. فهو ((يمثل محورا أساسيا من المحاور التي تدور حولها نظرية الأدب))[١] وتزداد أهميته عندما ((يعبر عن نفسه من خلال أشكال

(١) جماليات المكان ، مجموعة باحثين (د. سيزا احمد قاسم واخرون) ،ص٣ .

معينة ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحيانا علة وجود الأثر))[٢] وهو من أهم عوامل التجربة الأدبية وعلى الأديب أن يصنع المكان في عمله الإبداعي بصورة تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية [٣].

ويمثل المكان ((الكيان الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه))[٤] والأديب له الدور البارز في هذا التفاعل ولكي يصبح المكان مؤثرا في العمل الأدبي يجب أن تكون له دلالة تحاكي شيئا ما في نفس الأديب أو في الذات الاجتماعية[٥].

إن المكان في الأدب له مستويات موضوعية عن قصد، وأبعاد مختارة عن فكر ولغة مبنية عن أحساس دقيق[٦]، وإذا ما أجاد الأديب اختيار المكان فانه لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا، ذا أبعاد هندسية، لان خيال الأديب ينجذب نحوه، ولا تتوقف العملية عند وجود الاختيار، بل يجب أن يتبعها الأديب بإجادة استغلال المكان الذي اختاره للعملية الإبداعية، بحيث يجعل منه ((في العمل الفني شخصية متماسكة، ومسافة مقاسة بالكلمات، ورواية لأمور غائرة في الذات الاجتماعية ، ولذا لا يصبح غطاء خارجيا أو شيئا ثانويا بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني))[١] وهذا يختلف من أدب الى آخر ومن عصر أدبي الى عصر آخر ومن بيئة الى أخرى .

فعنصر المكان في الرواية والقصة . مثلا . من أهم عناصر البناء الفني ويعرف بأنه : الفضاء أو الخلفية التي تقع فيها الأحداث السردية [٢]، وهو وعاء للأحداث والشخصيات وقد يرتبط المكان بالشخصية ارتباطا وثيقا، فيأتي معبرا عنها،

---

(٢) عالم الرواية رولان بورنوف . ريال اونيليه ، ص٩٢ .

(٣) بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، د. سيزا احمد قاسم ، ص٨٤ .

(٤) الرواية والمكان . دراسة في فن الرواية العراقية . ياسين النصير ، ج٢ / ١٦ .

(٥) م.ن : ج٢، ص٢٠.

(٦) المكان في الشعر العربي قبل الاسلام ، حيدر لازم مطلك ، ص١٨ .

(١) الرواية والمكان . دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين نصير، ج٢ / ١٧ .

(٢) قصص الرحلة الخيالية . دراسة فنية مقارنة ، عبد الكريم خضير عليوي السعيدي ، ص١٧٩ .

أو مساويا لها ذلك إن البيت للإنسان امتدادا له، فإذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان كما انه لا يظهر إلا من خلال وجهة نظر التي تعيش فيه، أو تختلقه وليس لديه استقلال إزاء الشخص [٣]، وربما اثر المكان على مكان آخر يقتضي تحولا في نمط وسلوك الشخصية [٤] حتى انه يمكن أن يكتسب سماتها [٥] وللمكان علاقة بالزمان فلا تكتمل قيمة الحدث الفنية بدونها [٦] ، إذ إنها ((أوتاد ترسيخ التجربة الإنسانية))[٧] وقد ذهب النقاد الى إن المكان الأدبي ليس مكانا طبيعيا أو واقعيا ، بمعنى انه مكان متخيل، حتى وإن اخذ من الواقع[٨]

وللمكان أهمية كبيرة في أي عمل أدبي، سواء أكان شعرا أم نثرا، والمكان ((يتولد عن طريق الحكاية، وهو الذي تتحرك فيه الشخصيات أو يفترض إنها تتحرك فيه))[٩]. وتظهر أهميته وتأثيره من خلال علاقته ببقية العناصر الأخرى إذ إن تقديم الصورة المكانية في العمل الأدبي، بجمالية علاقتها وتشكيلها مع سائر الأبعاد تشكيلا فنيا، يعمل على خلق متعة لدى المتلقي، ((مما يقود بالتالي الى تعميق الصلة بين النص والمتلقي)) [١].

---

(٣) ينظر: في نظرية الرواية . بحث في تقنيات السرد / عبد الملك مرتاض ، ص٣٢ .

(٤) ينظر: دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف / محمد شواكية /ص١٠(بحث) .

(٥) ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا / ابراهيم جنداري ، ص١٧٢ .

(٦) ينظر: تيار الوعي في الرواية الحديثة / روبرت همفري / ص٦ .

(٧) حين يتكسر الغصن الذهني . بنيويه ام طبولوجيا /بيتر موتو / ص٢٤ .

(٨) ينظر: بناء الرواية . دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ / سيزا احمد قاسم / ص٧٤ .

(٩)عالم القصة في سرد طه حسين . احمد السماوي ، ص٧١ .

(١) دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، محمد شوابكة، ص١٠(بحث).

(٢) ينظر : تشكيل الفضاء في متخيل الرواية،عواد علي،ص٣٤(بحث).

(٣) مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان ،(بحث).

(٤) الفضاء المسرحي ، دراسة سيميائية ،اكرم اليوسف،ص٧٤.

والعلاقة ((بين الإنسان والمكان علاقة متبادلة يؤثر كل طرف فيها على الآخر))[٢] فعملية التأثر والتأثير متبادلة بين الإنسان والمكان الذي يعيش فيه، وهذا ما يؤكده يوري لوتمان بقوله ((إن المكان حقيقة معاشة ، ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلبي، ويحمل المكان في طياته قيما تنتج من التنظيم المعماري، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس الذين يلجون إليه ، والطريقة التي يدرك بها المكان تضفي عليه دلالات خاصة))[٣] أي إن البيئة تؤثر في الشخصية وتحفزها على القيام بالأحداث ، وتدفع بها الى الفعل ، حيث يمكن القول بأن وصف البيئة هو وصف مستقبل الشخصية[٤]، فالمكان يكتسب هوية الإنسان الذي يعيش فيه تماما كما يؤثر في الإنسان فيكسبه هوية خاصة . فالمكان يمثل الحيز الأكبر من حياة الإنسان، ففيه يعيش الإنسان ويحتمي واليه يعود بعد الموت ، فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان ...[٥] والشاعر واحد من الخلق الذي يعيش في مكان، ويؤثر في تشكيله وبنائه ،ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر، واهم تشعباتها فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة التأثر والتأثير بين الإنسان الشاعر ومكانه[٦]. وعليه فان المكان في الأدب مكان أثير، لأنه منبثق من الوجدان ويثير في النفس ذكريات الأهل والأحبة ويبعث في الذات الأمل بعدما غمرها اليأس والحرمان..

رابعا : ابن زيدون وتجربة المكان *[*]

---

(٥) ينظر: الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الاول ،غني صكبان سلمان ، ص٥٦ .

(٦) ينظر: المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي(٤٨٤هـ . ٨٩٧هـ) د. محمد عويد، ص١٠.

(*) هو احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي وبنو مخزوم بطن من لؤى بن غالب من بطون قريش ، ولد ابن زيدون بمدينة قرطبة سنة ٣٩٤ هـ /١٠٠٣،

كان ابوه قاضيا في قرطبة وجيها ثريا غزير العلم والادب ،ويذكر المؤرخون انه توفي بالبيرة ، بالقرب من غرناطة سنة ٤٠٥ هـ .

ظهر المكان في شعر ابن زيدون ظهورا فنيا إبداعيا، وبطريقة تشف عن حس جمالي، مبني على أسس متينة منبثقة من العمق الذاتي والوجداني والنفسي.

وتتبع أهمية المكان في شعر ابن زيدون من المقولة التي تذهب بالقول الى إن أفعال الخلق تقع في زمان ومكان..[١] وان شاعرنا عاش في خضم مجتمع يعيش أيامه بأفراحها واتراحها، فنراه في البلاط وزيرا وفي مجالس الأدب شاعرا، وفي الحب منافسا، وفي السجن قابعا، وفي الغربة بعيدا وفي السياسة محنكا[٢].

وارتبط المكان في شعر ابن زيدون بالذات ارتباطا وثيقا، لذا كان يتحدث بلغة الذات وهي: Essence فنيا: تجلي الذات واكتمال الخصائص الإنسانية العامة والفردية في الفنان والأديب، وبروزها بوضوح وتعبير متميز، من خلال الآثار التي يبدعها، ولا يتحقق الأمر إلا بالغوص الى الأعماق، واكتشاف ما فيها من كنوز عبقرية، وعرضها فنيا [١].

لقد خرج الفن في شعر ابن زيدون من أعماق نفسه التي عانت الكثير من الاغتراب والبعد عن الأهل والأحباب . وكما يقول الناقد السوفيتي بالينكسي ((إن

وابن زيدون كثير الميل لعلوم العرب وفنون اللغة فحفظ كثيرا من اثار الادباء وامثال العرب وحوادثهم ومسائل اللغة ، وكانت له ثقافة فلسفية واضحة في رسالته الهزلية وقد تتلمذ على يد اكبر مشاهير قرطبة وابو بكر بن مسلم بن احمد الذي كان اديبا ونحويا متقدما في علم العربية واللغة ورواية الشعر وكتب الادب وكذلك تلقى العلم من القاضي ابو بكر بن ذكوان .

. ينظر: وفيات الاعيان ، احمد بن خلكان ،ج١/ ٥٣ .

. وينظر: نهاية الارب في معرفة قبائل العرب ، ابو العباس احمد القلقشندي ،ص٣٣٥ .

. وينظر: العقد الفريد ، احمد بن عبد ربه الاندلسي، ج٣/٣١٣ .

. وينظر: الذخيرة ، ابن بسام ، ج١/٢٩٠ .

(١) الازمنة والامكنة ، ابو علي بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ج١/١٣٩ .

(٢) ينظر: عصر ابن زيدون ، د. جمعة شيخة ،ص٧ .

(١) المعجم الادبي، جبور عبد النور، ص١١٦ .

الفنان يأتي الى العمل الفني مارا بقلبه ليفرغ شحنته التي تتصهر في أحاسيسه ، حيث يتم تشكيل العمل الفني أخيرا))(٢).

إن المكان في صلته بالذات المبدعة والمتلقية ، يتخذ من الصفات المتشابكة ما يجعله من المقولات الأكثر تعقيدا على مستوى المعنى والمبنى. وان فك هذه العلاقات يقتضي من الدرس التحليلي أن يسترفد سائر المعارف التي أنتجتها العلوم الإنسانية لفك ألغازه، حتى تفضي الى الحقيقة التي من اجلها سيق المكان في الشعر موضوعا، أو إشارة، أو رمزا(٣).

واكتسب المكان لدى ابن زيدون أهميته من صلته بذاته ونتج عنها جدلية ((المكان / الشاعر)) و((الشاعر/ الذات)) و((الذات / الموضوع)). وهنا تستطيع النفس أن تتمثل ((من خلال المكان جملة من الأحاسيس والمشاعر التي ربما آثارها المكان بمحمولاته التذكرية، التي لها صلة بالذات في لحظة من لحظاتها السالفة. والتمثيل يحيل المكان على عملية القلب التي ترتفع بالمكان من الوجود الفعلي الى الوجود المتصور في أعماق الذات فليس القصد من ورائه عرضه موضوعا جماليا، بل الغرض في اعتباره محو لا يمكن الذات من التقاط المشاعر والأحاسيس، مما يفيض عن المكان وهو يندرج ضمن البناء الفني عموما(٤).

واستطاع ابن زيدون بعبقرية الفنان المبدع أن يظهر أصالة الأمكنة ويرسم تاريخ مجدها ، وفخامة قصورها وقلاعها ، وجمال طبيعتها، وطيب زهرها ورقة نسيمها، وجريان أنهارها... الخ وكان إحساسه بالزمان والمكان إحساسا مأساويا، فقد كانت صور تلك الأماكن تنم عن شوقه وتصور ما أثارته الذكرى في نفسه من الحب والحنين لمدينة ترعرع فيها حبه، وقضى فيها أيام شبابه وسعادته وكانت أكثر الأماكن التي ذكرها هي ((قرطبة)) و((الزهراء)).

---

(٢) جماليات الفنون، د. كمال عيد، ص٥٠ .

(٣) فلسفة المكان في الشعر العربي ،د. حبيب مؤنس ،ص١٢٧ .

(٤) م . ن :ص١٢٨.

ويؤكد الدكتور عدنان محمد ذلك بقوله:

((ولم يستطع أي شاعر اندلسي أن يتجاوز حدود المكان الاندلسي الى ارض العرب المترامية حتى جاء ابن زيدون بشاعريته الفذة وقصة حبه الفريدة مع ولادة. والقصائد التي عبرت عن هذه التجربة الملتهبة، فكانت نموذجا خلابا للألم وهو يتحول الى متعة فنية، ولقسوة الواقع وهو يرتسم في قصائد تندى رقة وتتوهج شفافية. واخترقت هذه القصائد إطار الزمان والمكان لتصبح أنشودة للحب الخالد يرددها العشاق في كل مكان ويختزنها في أعماقهم هواة الشعر الجميل))[1].

أما الطبيعة فقد كانت مسرح حبه ، فإذا خلا إليها ذكرته رياضها بنعيم ذلك الحب في ظلالها، وكثيرا ما استمد معانيه وأخيلته الغزلية منها وكانت تثير في نفسه معاني الهوى وتحرك لواعجه وتصل بينه وبين الحبيبة.

وهذا الإحساس بالمكان ولد نوعا من الإحساس بالزمان، وكأن الزمان يعالج لحظات من السكون.. وهاهي آثار الماضي مبثوثة في الذات والزمان هو الصيرورة والتغيير. وبهذا تكتسب الرؤيا الشعرية ذات الديمومة والاستمرارية، التي تعي الماضي أزمنة وأمكنة وتجارب منصهرة بالحاضر راسمة العالم الحلمي بأبهى صورة فنية. فكان شاعرنا مثالا للشاعر العبقري الذي ((يخرج المكان في القصيدة من عامل الظرفية، فالامام والخلف، والجنوب والشمال ظروف مكان تتحقق بالحس ويظل هذا التلاشي الحسي مستمرا، حتى يصير الشاعر العبقري منتميا للأفق المكاني الذي لا تجعل منه نسبة الأشياء الى بعضها مادة لتحديد جهاتها .. الشاعر عبقري لأنه منتصر على تحديدات الزمان والمكان[1].

لقد كان إحساس ابن زيدون بالمكان والزمان إحساساً ذا تجسدات موضوعية ومتخيلة يرتدي جوهر التجربة على المستويين الذاتي والوجودي.

---

(١) مصادر دراسة ابن زيدون ، د. عدنان محمد غزال ،ص٣ .

(١) نقد الشعر في المنظور النفسي ، د.ديكان ابراهيم ، ص١٦٧-١٦٨ .

لذا سعينا في هذا البحث الى دراسة المكان في شعر ابن زيدون من خلال قراءة نصية له معتمدين على المكان بالمقام (الأول) جاعلين الاهتمامات الأخرى تابعة ورافدة للمعاني التي يثيرها المكان في صميم المعيار الشعري كله.

((إن القراءة على هذا النحو قراءة إشعاعية((Spectrale)) أي إنها قراءة تتخذ المكان مركزا لمجموعة من الدوائر التي تنداح متباعدة عن المركز، فعل الحجر الذي يلقى في الماء الساكن، فتنشأ عنه مجموعة من الدوائر التي تزداد اتساعا كلما ابتعدت عن المركز. والقراءة الإشعاعية تنطلق من المكان وتعود إليه، كلما استنفدت شعاعا من أشعتها. وكل شعاع إنما يمثل وجهة تسلكها القراءة لملامسة تخوم خاصة بها))[٢]. لان الشاعر لم يصف المكان بشكل مباشر بل وصف الذات التي رسمت المكان من خلال ((الذات / الموضوع)).

(٢) فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية . د. حبيب مؤنس ، ص٩ .

الفصل الأوّل

تشكيلات ثنائية المكان الأليف والمكان المعادي

مدخل.

المبحث الأول : المكان الموضوعي (الواقعي) الاليف)

١ - ((البيت/الدار)).

٢ - الاطلال.

٣ - المدينة.

المبحث الثاني : (المكان غير الأليف)

١ - السجن.

٢ - أماكن التخفي.

مدخل

تكوّن هذه الثنائية فكرة أساسية في تكوين المكان الموضوعي الذي يمثل، الحيز الموجود المدرك الذي يسبح في فضائه الفعل الاجتماعي وبوساطته يمكن تتبع فعالية الوجود وإيجاد تجسيم يقوض التجاذب الطردي بين الحضور الطبيعي بوصفه أثرا ايجابيا فاعلا وبين الحضور الذاتي بوصفه استجابة متفاعلة ،ومتضادة مع نفسها ومع الأخر أيضا ويتمظهر ذلك التجاذب الطردي ضمن الإطار المعرفي(١) ((فالمعرفة تقوم كنتيجة للعلاقة البنيوية التي تنجم عن التضاد – الأنا، لا تحدد نفسها وانفصالها عن الآخر إلا بمقابلتها له في بنية تجمعهما معا وبذلك تصبح الانا وظيفة من وظائف تحديد الأخر))(٢).

فهو فضاء معاش يتماهى فيه الزمن وينسجم في البناء الثقافي الشامل للنص(٣)، آذ لايمكن. للإنسان ألامساك بالزمن على عكس ما في المكان الذي تنعكس عليه ملامح وسمات العالم الواقعي.

والفنان المبدع يستطيع أن يأخذ ملامح العالم الواقعي ويمزج فيه ذاته ليرسم لوحته الفنية المعبرة فيصبح هذا المكان أو ذاك خاصاً به هو الذي يحدد أبعاده من خياله الخلاب .فصورة المكان ينبغي أن لا تمثل المكان المقتبس .. وكل ما ينبغي أن ترتبط بة الصورة من المكان المقتبس هو المفردات العينية بما لها من صفات حسية أصيلة فيها، أو مضافة إليها، ولهذه الصفات دور خطير في تكوين الصورة، حتى أننا لنجد الشاعر في بعض الأحيان يفتت الأشياء الواقعة في المكان، لكي يفقدها كل تماسكها البنائي الماثل أمامنا، ولا يبقى منها ألا على صفاتها(٤).

(١) دلالات المكان الشعري ، دراسة في شعر حسيب الشيخ جعفر، ناجي عباس مطر الركابي ، ص١٧.
(٢) دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي وسعد البازعي ، ص٥٨.
(٣) دلالات المكان الشعري ، دراسة في شعر حسيب الشيخ جعفر، ص١٧.
(٤) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، عز الدين اسماعيل ص١٢٩ .

وتشكيلات المكان الموضوعي ضمن أطار ثنائية ((المكان الأليف / المكان المعادي)) في الشعر يستثير من الذاكرة ما انطبع بها تجاهه – أي المكان– من تصور فردي أو جمعي ويستمد قيمته الإبداعية من جوهر الموقف الإنساني العام تجاهها، والاستجابة الشعورية أواللاشعورية أليها فحس المكان حس أصيل عميق في الوجدان البشري.

إن الأمكنة الأليفة كالبيت والوطن ... تتميز بالمواقف الايجابية للشعراء منها، حيث تتمتع بقيم الحماية والألفة والانتماء وتجعل الشعراء يمتزجون بها،وقد يصل امتزاجهم بها إلى درجة من الاتحاد النفسي الكامل وتجعل المكان قرينا معادلا لهم أو تجسدا من تجسداتهم أو قناعاً من أقنعتهم(١) ((خصوصا إذا كان المكان هو موطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي برحم الأرض – الأم))(٢) وعليه فأن المكان الأليف يثبت الارتباط في حين يصبح المكان غير الأليف مضاداً له لأنه يمثل الانفصال ليكون ثنائية ضدية أساسية هي ((الارتباط/ الانفصال)) فالأمكنة غير الأليفة تؤدي بالشاعر إلى حالة من الانقطاع عن المكان حيث تصبح أعماق الذات، بكل ما تنطوي عليه من رؤى وأشواق وعذابات أيضا فردوسا داخليا موازيا لحجم الخارج ،جحيم القهر والخوف ورعب الاقتلاع من الجذور، إن توازي المكان الداخلي مع جحيم الخارج تؤدي .. إلى انقطاع عن المكان. والانقطاع هنا رفض نفسي للمكان، يرفض تواجده فيه لأنه مكان غير أثير، خال من قيم الألفة(٣).

إن هذا التقسيم ليس له ضوابط أو حدود منهجية صارمة، وهو تقسيم نسبي، فقد يتداخل طرفا الثنائية الضدية في تشكيل فني إيحائي يتحول فيه المكان المعادي إلى مكان أليف وبالعكس لذا وضعنا الفصل بهذا العنوان لتكون لنا حرية التحرك داخل أطار هذه التشكيلات.

---

(١) المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب البجاري ، ص١٧.
(٢) جماليات المكان ، اعتدال عثمان (بحث) ، ص٧٧.
(٣) اشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير، ص٢٧.

المبحث الأول

(المكان الموضوعي(الواقعي) الأليف)

عندما ندرس المكان نجد حقيقة أولية في كل فهم يريد الغوص في أعماق النفس هي (الإنسان / المكان) وقد كونت هذه الحقيقة منظومة من العلاقات الايجابية المتفاعلة فيما بينها والمنصهرة في بوتقة الذات الإنسانية. التي تعيش الأحداث اليومية على ارض الواقع.

المكان الموضوعي :هو المكان المعيش الذي يمثل ((البعد المادي للواقع))(١) فيبني ((تكويناته من الحياة الاجتماعية ونستطيع أن نؤشر عليه بما يماثله اجتماعيا وواقعيا))(٢) ذلك انه ((يستخرج من الأشياء المادية الملموسة))(٣) نتيجة ((انعكاس الواقع الموضوعي على مخيلة الفنان))(٤) وهذا لايعني أن الفنان يلتقط صور الواقع حرفيا فوتوغرافيا، بل يعمد إلى الخيال الذي يعكس إحساسه الذاتي بالمكان.

((ولما كان الشعر العربي، شعر مكاني في ارتباطه بالبيئة التي أنتجته والإنسان الذي أبدعه، كان لزاما على الدرس الأدبي أن يلتفت إلى المكان فيه،نظرة لا تحكمها التابعية، فيحصرهم المكان في بعض المظاهر الثانوية، أو تتخطاه لمجرد ذكره بعبارات اهترأت استعمالاتها، وخوت دلالتها ،وصدأت جدتها، بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك، مادامت الغنائية في الشعر العربي إنما تتأسس على اهتمام فردي في المقام الأول، ثم تنفتح لعديد من العلاقات الأخرى))(٥).

وفي شعر ابن زيدون، نجد أن المكان الموضوعي قد اكتسب أهميته ودلالاته وإيحاءاته نتيجة ظروف خاصة تعرض لها الشاعر فعمقت إحساسه بالمكان وأظهرت حقيقة ذاته و((ذات الشاعر هي حقيقة الشاعر ،وهويته الشخصية، ما به يكون الشاعر ذاته أي الشاعر، أي مقومات وجوده الواقعي أو الموضوعي، بوصفه ((انسانا + متميزا)) أو ((موهوبا)) أو بوصفه كائنا اجتماعيا تنهض فيه إمكانيّة

(١) إشكالية المكان في النص الأدبي ، ياسين النصير ،ص٥٥.
(٢) الرواية والمكان ـ دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير، (٢٧/١).
(٣) جماليات المكان، اعتدال عثمان، ص٧٦(بحث).
(٤) الرواية والمكان ـ دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير، ٢٧/١.
(٥) فلسفة المكان في الشعر العربي ـ قراءة موضوعاتية جمالية، د٠ حبيب مؤنس ، ص٦.

التفرّد))[١] فهو، من جهة يحيا عضوا في جماعة إنسانية ينتمي إليها، ويدخل في سلسلة من التنظيمات التي أوجدتها ضرورات الاجتماع البشري في مرحلة معينة من مراحل التطور الاجتماعي، وليس بالضرورة حاجة الفرد نفسه (ككائن) بيولوجي أو حتى (ككائن) اجتماعي، ويرث أوضاعا اجتماعية سابقة على وجوده منها ما يرجع إلى الأسرة، ومنها ما يرجع إلى المجتمع. وهذه الأوضاع منها ماهو اقتصادي وما هو سياسي، وما هو ثقافي، وما هو نفسي .. وكلها تتداخل وتتشابك بحيث يجد نفسه، في كل لحظة من لحظات حياته، فيما يشبه المتاهة. ولكنه من جهة ثانية لا يزال ذاتا منفردة ، لها عالمها الخاص. فلكيلا يبتلعه ذلك الخضم من القوى الخارجية يلزمه أن يصد بناء ذاته بصورة مستمرة. والمراد بإعادة بناء ذاته أن التجارب التي ترد عليه من الخارج ويحيلنا إلى شي من جنس ذاته[٢].

فـ ((ذات ابن زيدون)) هي ((أنا)) الشاعر أي الحقيقة المعبرة عن معاناة النفس التي ذابت في جدل ((الشاعر/ المكان)) لتعطي للمتلقي أجمل الصور الفنية التي حملت دلالة المحبة هذه الدلالة، التي لا تنشا من ((المكان)) أصالة بقدر ما تنشا عن الظواهر المصاحبة له.

أن المكان الموضوعي الأليف هو ذلك المكان الذي عشنا فيه وتآلفنا معه وغمرنا بالدفء والحماية، وأصبح كل ركن فيه مادة خصبة لذكرياتنا الجميلة[٣]، فالمكان الأليف ليس مكانا اعتياديا وانما هو مكان قد امتزج فيه الخيال بأحلام اليقظة[٤]، حتى بات مصدرا من المصادر المهمة التي تلهم الذاكرة بالصور الإبداعية.

ومن خلال استقرائنا لديوان ابن زيدون وجدنا إن المكان الأليف يتمثل (بالبيت والقصور، والمجالس، والمدينة، والأطلال)، أما الطبيعة فأخذت دلالة خاصة وتمثل المكان فيها (بالحدائق، والأنهار، والجبال) وهذه الأمكنة تأخذ طرفي ثنائية ((المكان

(١) الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية ، د. عبد الواسع الحميري ، ص١٢ .
(٢) ينظر: دائرة الابداع ، شكري عياد، ص٩٩.
(٣) ينظر : البناءالفني في الرواية العربية في العراق ، الوصف وبناء المكان ، د. شجاع مسلم العاني ، ٢/ ٩٩ .
(٤)م.ن: ٢/ ٨٤ .

الأليف / المكان المعادي)) وهذا ما ستكشفه الدراسة النصية التحليلية التي اعتمدناها في البحث.

١ – ((البيت / الدار))

البيت أو الدار هو المأوى الذي يضم الأسرة بداخله وهو ((أكثر من منظر طبيعي ، إذ هو حالة نفسية))[١] وهو ليس مساحة مادية فحسب، بل حالة احتضان ((نفسي / جسدي)).

ويمثل البيت السجل الذي يضم مشاعرالانسان وحياته بداخله[٢]. وهو فضاء أمومي يشعرنا بالألفة والدفء وله ارتباط غريزي بالتجذر بالأرض فهو يمثل ((الصورة الحميمية المريحة سواء كان معبدا أو قصرا أو كوخا))[٣].

ودلالة وظيفية دالة على وجود الإنسان فكان التفتيش عن الإقامة والتجذر يرغمه على ((جعل الأرض ثابتة))[٤] وهي رغبة أيضا في العزلة المؤقتة ((فالإنسان لا يدرك شخصيته وأصالته وتفرده وتميزه عن كل شخص وعن كل شي إلا عندما يكون وحيدا))[٥]. وقد ارتبطت صفات الحماية والطمأنينة بمفردة البيت فجاء ذكره في القرآن الكريم مقترنا بذلك ((فَلْيَعبدوَا رَبَّ هَذاَ البَيْتِ آلَّذِي أَطعَمَهُم مِّنْ جَوع ٍ وءامنَهُم مِّن خَوْف ٍ))[٦] وإذا كان البيت يضم بين حدوده الوهمية الألفة والمحبة ممزوجة بصفة الاحتضان والأمومة والرحم وهو يرفض أن يبقى منغلقا بصورة دائمة، بل انه متوزع على مختلف ألاماكن ومتحرك نحو أزمنة أخرى على كل مستويات الحلم والذاكرة[٧].

لقد اخذ البيت في شعر ابن زيدون دلالة خاصة مبعثها التجربة الذاتية الفريدة التي عاشها في مقتبل حياته فلم يكن فشله في جانب واحد من الحياة بل عانى من الفشل السياسي والاجتماعي والعاطفي مما جعله يبتعد عن داره حاملا غربته الذاتية القاتلة يعيش الأماكن الأليفة ويحس الغربة ويعانيها ويعيش في الأماكن غير الأليفة..ويعيش الاحساس نفسه.

(١) جماليات المكان – باشلار ، ص ١٠٥.
(٢) ينظر : دلالة المكان في قصص الاطفال ، ياسين النصير، ص٢٧ ٠
(٣) شعرية المكان في الرواية الجديدة ، خالد حسين حسن ، ص٢٥٥.
(٤) أمكنة الجسد، د. تركي زناد بو شارة ، ص١٠٠.
(٥) العزلة والمجتمع نيقولاي برديانيق ،ص٩٣.
(٦) سورة قريش/ ٣-٤ .
(٧) ينظر : جماليات المكان ، باشلار ، ص٨٢ _ ٨٧

إنهـا حيـاة تتـأرجح الـنفس فيهـا بـين ((الآمـل/اليـأس)) ((الفـرح/الحـزن)) ((اللقاء/الفراق)) وقد أتضح ذلك جليا في الرسالة التي كتبها في محنته إلى أستاذه أبي بكر وقد ذكر أمه فيها إذ يقول ((وقد هجرت الأرض التي هي ظئري والدار التي كانت مهادي، وغبت عن أم أنا واحدها تمتد أنفاسها شوقا إليَّ، وتغض أجفانها حزنا عليَّ ، والله يرى بكاءها ،ويسمع لي على من ظلمني نداءها))[١].

يتحـرك المكـان فـي الـنص داخـل إطـار الـرحم ((وإذا ظـل الـرحم عالمـا مبهمـا،وذكرى بـلا ملامـح، يؤطرهـا الحنـين، فـأن البيـت ينغـرز بـالنفس أنغرازاعميقـا، ويمتزج بالصفة الاحتضانية للأمومة، الرحم وتبقى هذه الصفة الامومية للبيت هاجسا لا شعوريا مصـاحبا للإنسـان طيلـة حياتـه، يمـده بـدفء الانتمـاء))[٢] ليرسـم صـورة العـذاب ومـا حـل بـه بعـد الهجـران. وهـي حركـة مكانيـة قاتلـة تلازمهـا حركـة زمانيـة تتأرجح فيها النفس الإنسانية بين حركة تريد أستبدال هم ثقيل عليها بهم أخر تتشوق أليه.

وإذا كانـت حالتـه النفسية متأزمـة وهو فـي السـجن فـي مدينتـه فكيـف بـه وهـو يهرب ويبتعد عن قرطبة موطن الصبا، ومقر حبيبته، ومجتمع اهله وأصدقائه.

وبعد أن نجحت خطة هروبه من السجن كان عليه أن يختار مكانا يطمئن فيه على نفسـه، ((فـأن حياتـه الجديـدة ستكون قلقـة مضـطربة بين ظـروف متباينـة وأحـوال مختلفة، وقد يلاقي من هذا المجتمع دسائس وفتناً تفوق مـا لاقـاه فـي وطنـه، وقد عبر عن هذا بقولـه بعد فراره، أن الجـلاء أخـو القتـل والغربـة أحد السباعين))[٣]. قال الله تعالى:

((وَلَو أَنَّـا كَتَبنَـا عَلَـيهِم أَنِ اقتُلُـواْ أَنفُسَـكُم أَوِ اخرُجُـواْ مِـن دِيَـرِكُم مَّـا فَعَلُـوهُ إِلَّا قَلِيـلُ مِّنـهُم))[١].

(١) الذخيرة، ابي الحسن علي بن بسام (ت ـ ٥٤٢هـ)، القسم الأول ، ج١، ص٣٥٣.
(٢) المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب البيجاري ، ص١٨ .
(٣) ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ،علي عبد العظيم،ص٢١١. الجلاء : الرحيل عن الوطن.
(١) سورة النساء/٦٦.

وفيه قال ابن زيدون: [٢]

ومن يغتربْ عن الدار لم يزلْ يرى   مَصارع مظلوم ٍ: مَجَراً ومَسْحَبا
وتُدفنُ منه الصالحاتُ، وإنْ يسِيءْ   يكن ماأساءَ النَارَ في رأسِ كَبكبا[٣]

الشاعر حصر ذاته في دائرة الاغتراب التي حملت الانفصال عن الآخر ضمن ثنائية ((أنا / الآخر)) وقد صاحب هذا الانفصال حالة من التوتر بين الأجزاء المنفصلة وهو يأخذ طابع الانفصال عن النفس، وينطوي على شعوره بانفصاله عن ذاته ضمن ثنائية ((الشاعر/ الذات)) و((الذات / الموضوع)) وضمن هذه الدائرة المغلقة يعيش الشاعر خائفا من القادم لأنه لا يزال يواجه المهالك في شتى صورها، وإذا احسن أنكرالناس إحسانه ، وإذا أساء أعلنوا كل إعلان اساءته.

وبعد أن فر ابن زيدون من السجن في قرطبة لاجئا إلى اشبيلية عاش في غربته متوجسا من القادم، وأخذه الشوق والحنين إلى موطن هواه فرجع إلى قرطبة متخفيا بضاحيتها ((الزهراء)) وفيها كتب إلى أستاذه أبي بكر بن احمد بن افلح النحوي رسالة مسهبة شرح فيها حالته ثم اتبعها بهذه القصيدة ملتمسا شفاعته[٤] مؤكدا على ثبوت المكان على مر ألازمان مهما ابتعد عنها إذ يقول: [٥]

شَحَطْنا، وما للدار نأيُ ولا شَحْطُ   وشَطَّ بمن نَهْوى المزارُ، وماشطوا
أَلْحْبابنا ألوتْ بحادثِ عَهْدنا   حوادثُ لاعقدٌ عليها ولاشَرْطُ[١]
لَعمركُم إنَ الزمان الذي قضَى   بِشتِّ جميع الشَّملِ منا لمشُتطُّ[٢]

---

(٢) الديوان : ٧٠٠.
(٣) كبكب : جبل عال بعرفات وشبيه بهذا قول الشاعر :-
إن يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا   شرا أذاعوا ، وان لم يسمعوا كذبوا
وقول الآخر :-
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا   منى وما سمعوا من صالح دفنوا ٠
ينظر : الديوان ص٧٠٠.
(٤) الديوان : ص٣٦٤.
(٥) شحطنا: بعدنا، ناي: بعد.

(١) الوت بحادث عهدنا : ذهبت به ، العقد : العهد الوثيق.
(٢) شت الشمل : تفريق الجمع ، مشتط : موغل في الجور.

وأما الكرى مُذْلم أزركمْ مهاجرٌ زيارتُهُ غَبٌّ، والمامهُ فَرَّط[٣]

يظهر ((الدار)) في النص كبؤرة مركزية لحركة مشاعرابن زيدون، فهي تدور حول ((البيت / المدينة)) فهو لا يتشوق إلى الدار، بل يتشوق إلى قرطبة، يتشوق إلى من سكن ((الدار / المدينة)) الأهل والأحباب.

فالأبعاد الدلالية العميقة التي يجسدها الدار، تجعل منه رمزا للكل.. للكون .. للحب .. للأمومة ...

لقد أعتمد الشاعر على أسلوب التكرار الصوتي في تكوين الإيقاع الداخلي للموسيقى ((شحطنا، ولا شحط،شط،وما شطوا،ولا شرط، بشت، الشمل، لمشتط)) فأن اختياره للحرف ((الشين)) الذي يعمق دلالة البعد((نأي)) وقد اعتمده الشاعر بعدما أدرك ما يحمله ذلك الحرف ، كذلك اللفظة من طاقات إيحائية أدت المعنى بقدرة أبداعية رائعة وقد أكد هذه الحقيقة الدكتور محمد النويهي بقوله: ((أن من أهم الوسائل التي يستعملها شعراؤنا القدامى في ابانة فكرهم وانفعالهم وحكاية ألفاظهم بجرسها الصوتي للصوت الطبيعي أو العمل أو الحركة أو الانفعال الذي ينقلونه))[٤]

إن مهمة التكرار الصوتي تتحصر أولا في الجانب النفسي ثم الجانب المعنوي. ويرى د. إبراهيم أنيس إن من الدلالة الإيحائية لموسيقى اللفظة الداخلية أثرا في إثارة المشاعر الوجدانية في نفس المتلقي إذ قال ((إن من الثابت في مجال الدلالة الإيحائية النفسية للإيقاع الموسيقي للألفاظ، إنها باعتبارها صورا ذهنية سمعية، تعد من المنبهات الهامة في إثارة الانفعال المناسب في نفس المتلقي، وهي بالإضافة إلى دلالتها المعنوية الخاصة بكل لفظة، ذات دلالة إيحائية تشيع في النفس مناخا تخيليا خاصا يتمشى وحركة النفس وذبذباتها الشعرية وينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية وأنغامها)).[١]

---

(٣) الكرى: النوم ، زيارته غب : متفرقة قليلة ، الالمامة : الخفيفة .
(٤) ينظر:قضية الشعر الجديد،د.محمد النويهي ،ص٥٥.

(١) دلالة الالفاظ ، د. ابراهيم انيس، ص٧٥.

إن تكرار هذه الألفاظ جسد تشكيلاً إيقاعياً جميلاً اظهر الانفعالات النفسية التي يعاني منها الشاعر وقد اعتمد في الوقت نفسه التكرار الصوتي– للحرف –

فضلاً عن التضاد عندما وزع أنفاسه بين مجموعة ثنائيات متضادة هي: ((شحطنا / ماشحطوا)) و ((شط / وماشطوا)) التي تدخل ضمن إطار ثنائية أساسية هي ((الثابت /المتحول)) ٠

الدار ⟵ ثابت

أنا ⟵ متحول ((البعد))

الآخر ⟵ ثابت

أنا ⟵ متحول ((متخفي))

الزمان ⟵ متحول ((متقلب))

الشمل ⟵ متحول

النوم ⟵ متحول

والنتيجة ((٥)) مرات متحول واثنتان ثابت وبينهما عاش الشاعر نأيا عن أحبابه وان كانت ديارهم قريبة منه، وتعسر مزارهم وان لم يبعدوا عنه، لان الزمان بدد عهد نعيمه القريب، وما لأحكام الدهر عقد تلتزمه ولاشرط ترعاه، وحقا انه زمان غاشم ظلوم، وقد هجر النوم منذ فراقهم فما يزوره إلا إلماً .

٢ – الأطلال

عندما نقرأ سفر أدبنا العربي، تقف الأطلال شامخة في وجهنا وكأنها السمة التي يعرف بها الشعر العربي القديم، ((وصار الطلل في أغوارالنفس شقوقا وأخاديد يحتفرها سيل الدهر احتفارا، فتتبجس منها الأحاسيس،وقد أترعت حزنا وهما))[١] وقد مزج بعض الدارسين بين المكان والزمان والحبيبة المفارقة. والطلل رمز لوقت سعيد وصحبة نعم بها الشاعر في ذلك المكان[٢]. وقد عدّ د. محمد بلوحي، الطلل ابرز معلم فني تجسدت فيه نوستالجية[*] العربي المهموم يحس المكان والزمان والمرآة وهو تجسيد للمعاناة النفسية والدلالات الرمزيــة التي تكمن في نقطة البداية :لان لكل عمل أبداعي نقطة انطلاق وهذه النقطة يمكن اعتبارها العمق – الذات – التي تحتوي الفكرة في الدائرة [٣]. وترتبط الدائرة بنقطتها كما يقول ابن عربي ((ولا بد من كل خيال من نواة الحقيقة .. ولا بدّ في زجاجة كل مجاز من سراج الحقيقة))[٤].

أن الطلل يحمل سمة حركية داخل الذات الإنسانية وهو علاقة زمكانية ومرحلة بين الوجود والعدم، وبين الحضور والغياب وبين السعادة والشقاء وبين الحياة والموت ومرحلة انتقالية بين التذكر والنسيان[٥].

لقد عاش ابن زيدون لحظات قاسية يعاني من الاغتراب ويشعر بالوحدة وتحيط به المخاوف وتنهال عليه النكبات، فتذكر ليالي قرطبة فصرخ قائلا: [٦]

سَقَى الغيثُ أطلالَ الأحبَّةِ بالحمَى

---

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي ـ دراسة موضوعاتية جمالية، د.حبيب مؤنسي ،ص١٨.
وينظر: شعر الوقوف على الاطلال د.عزة حسن.
وينظر: الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية احمد عبد الواحد حجازي.
(٢) ينظر: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي د.صلاح عبد الحافظ.
(*) النوستالجيا : مصطلح غربي يعني الحنين ، ينظر: الشعر العذري في ضوء النقد الحديث، محمد بلوحي، ص٩٥.
(٣) جدل الحب والحزن في شعر الخنساء،د.هناء جواد، (بحث).
(٤) اشارات الاعجازفي مظان الايجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ص١٥٠.
(٥) ينظر : القارئ والنص،والعلامة الدالة /سيزا قاسم ،ص٥٣.
(٦) الديوان:١٥٣.حاك: نسج ، الوشي: النسيج المزخرف بالالوان.

وحاكَ عليها ثوبَ وشيٍ مُنمنَما

وأطلع فيها للأزاهير أنجما

فكم رفلتْ فيها الخرائدُ كالدُّمى   إذِ العيُش غضدٌ والزمانُ غلامُ[1]

تتجسد في ذات الإنسان– في حالة الإحساس بالغربة هواجس الموت ومشاعر الانقطاع، لذا يحاول تأكيد وجوده عن طريق المكان – الأطلال – الذي يحمل أبعاد التجربة الفنية ((المكان / الزمان / المرأة))

والنص لوحة إبداعية جمالية لم يخرج فيها الشاعر عن المعاني التي أتى بها الشعراء العرب في الجاهلية في شعر الوقوف على الأطلال، ومنها السلام عليها ٠٠ والدعاء بالسقيا لها ، والبكاء فيها[2].. ((سقى الغيث   أطلال الأحبة)) وقد أحاطت بهذه اللوحة حلقات متعددة كل حلقة تعطينا صورة فنية حسب مرورها بالذهن (حقيقة / خيال) وتدور في فلك الأبعاد الثلاثة للتجربة الجمالية ((المكان/ الزمان/ المرأة)).

ومن خلال هذا التداخل بين الأبعاد تجسد الحدث بعدما توحدت الذات بالموضوع[3] أما البعد الزمني، فقد امتد من الماضي ليبتلع الحاضر ويجسد ثقل اللحظة الآنية وقد أشار إليها بلفظة ((فكم)) التي تعطي للمتلقي مجموعة عددية كبيرة من الصور الفنية لفتيات حسان كالدُّمى، وقد أسعفته الذاكرة في رسم صورة العيش والزمان عبر شبكة معقدة من الأحداث التي مر بها الشاعر والإنسان يمر بمراحل قاسية نتيجة الحوادث والكوارث وكل شي يتغير والزمن كفيل بتغيير كل شيء[1] والذي يبقى هو التراكم الكبير لتلك الحوادث والمتغيرات التي تخزنها الذاكرة البشرية التي تعد مفتاح الذات في تلازمها مع وحدة الزمن[2] فالماضي بكل ذكرياته عنصر

(١) رفلت:تهادت وتبخترت، الخرائد: الفتيات الابكار، الدمى: التماثيل الصغيرة من الرخام ويضرب بها المثل في الحسن.
(٢) الموازنة ، الآمدي ، ج ١ /٤٠٥.
(٣) محاضرات د. هناء في مادة تحليل النص الادبي على طلبة الدكتوراة للعام ٢٠٠٥-٢٠٠٦.
(١) ينظر : صدمة المستقبل،الفين نوفلر ،ص٨٠.
(٢)الزمن في الادب، هانز ميرهوف، ص٣٣.

اطمئنان، لأنه يبشر بالتوافق بين طرفي ((المكان /المرأة)) وما بينهما شبكة معقدة من الرموز.

وبين ذكريات الماضي السعيد وحقيقة الحاضر المؤلم عاش ابن زيدون الغربة المكانية بلا أهل ولا وطن، وقد حل العيد فأتى كل إلى أهله وسعد بوطنه ونظر الشاعر ورأى نفسه نازحا عن وطنه، نائيا عن أهله، فناجاهم على البعد بهذه الأبيات[٣].

هل تذكرون غَريباً عادَهُ شَجَنُ مِنْ ذِكركمْ . وَجَفا أجفَانَّهُ الوسنُ؟[٤]
يُخفي لَواعِجهُ والشَّوْقُ يفضُحهُ فقد تَساوى – لديهِ – السِّرُّ والعَلَنُ
ياوَيلتاهُ، أيبْقَى في جَوانِحِهِ فُؤادُهُ، وهْوَ بالأطلالِ مُرتَهَنُ؟
وأرّقَ العيْنَ – والظّلْماءُ عاكِفَةٌ . ورقاءُ، قد شفُها – إذ شفَّنى – حزَنُ[٥]
فَبِتُّ أشكو وتَشْكو فوقَ أيْكتها وباتَ يهفُو ارتياحاً بيننا الغُصُنُ[٦]
يا هلْ أجالسُ أقْواماً أحبُّهم ؟ كُنَّا وكانوا – علىعَهْدٍ – فقد ظَعَنوا[٧]

يبدأ النص بتشكيل ثنائية أساسية هي ((ألانا / الآخر)) تسود بين طرفيها علاقة بعد ((زماني / مكاني)). في حين جاءت الذكرى بعد الاستفهام وبصيغة الجمع لتؤكد الحدث –الفراق – وعبر شبكة الامتداد الزمني والبعد المكاني رسم ذاته المعذبة المرتهنة بالطلل ((وهو بالأطلال مرتهن)) وتحت وطأة تلك التصورات القاسية لزمن الغربة يقف الشاعر أمام الأطلال من خلال ثنائية ((الحضور / الغياب)) ضمن ثنائية ((الحقيقة / الخيال)) فـ ((المخيلة المنتجة تفكك Decompose العالم كله، إنها تجمع أجزائه وتنظمها وتخلق عالما جديدا بمقتضى قوانين تنبعث من أعمق أعماق النفس[١]).

(٣) الديوان : ١٩٠ .
(٤)الشجن : الحزن ، الوسن : النوم .
(٥) ورقاء : حمامة ، شفها الحزن: اضعفها وانحلها.
(٦) الايكة : الشجرة الضخمة ، او الاجمة بحوار المياه ، يهفو : يتحرك ويتمايل .
(٧) ظعنوا : رحلوا .
(١) ثورة الشعر الحديث،من بودلير الى العصر الحاضر،عبد الغفار مكاوي،ج٩٧/١.

إذن التحرك الزمني في هذا النص كان يسبح في فضاء الانفعالات الوجدانية والمعاناة النفسية التي جسدتها الذكرى.

استهل الشاعر أبياته بالاستفهام الذي ((يحتاج إلى جواب، لكنه في الأبنية الفنية يستغني عن الجواب فيبقى مفتوحا ليلقى في ذهن المتلقي شتى الإيحاءات))[٢]، وخرج الاستفهام هنا إلى غرض بلاغي هو التحسر والتحسر إظهار الأسى والحزن ويرى السكاكي(ت٦٢٦هـ) أن هل حرف ((لايطلب به الا التصديق))[٣] وقد اكد الشاعر هذه الحقيقة من خلال الصور الشعرية التي توالت بعد جملة الاستفهام ((هل تذكرون)).

كذلك استخدامه لحرف النداء الذي سبق الاستفهام ((يا)) والنداء . في البيت الاخير- هو احد الأساليب التي تسهم في تشكيل الخطاب الشعري فهو ((طلب أقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة))[٤] ولكن اتخذها الشاعر هنا وسيلة لمحاورة الذات ومحاولة منه للخروج عن الحاضر بالحنين إلى سابق العهد، وما ذلك الحنين ألا ((لعبة زمنية تمنح الفعل الشعري قابلية اكبر على الحركة والظهور ،وغالبا ما يتمظهرشعريا عبر أسلوب سردي يروي حكاية تامة العناصر تقريبا، تبرر نهوض نداء الماضي))[٥]

وبين الاستفهام الذي استهل به النص ((هل تذكرون)) وبين الاستفهام المسبوق بحرف النداء ((الياء)) ((يا هل)) التي انتهى به النص عاش ابن زيدون في سهر دائم ((جفا أجفانه الوسن)) يتأرجح بين خفاء لوعتة والشوق يقصمنه فقد تساوى عنده السر والعلن فأطلق صرخته التي ملئت الفضاء النصي ((ياويلتاه)) وهي ترسم لنا لوحة مأساوية لنفس ذائبة في ذكريات الماضي السعيد.

---

(٢) البناء الفني في شعر الحب العذري،د. سناء البياتي،ص٤١.
(٣) مفتاح العلوم ، لابي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي ، ص٣٠٨.
(٤) علم المعاني، محمد جيجان الدليمي وقيس الاوسي وحذام الالوسي، ص١٢٥.
(٥) المتخيل الشعري ، اساليب التشكيل ودلالة الرؤية في الشعر العراقي الحديث د. محمد صابر عبيد،ص١٢٥.

فالشاعر نجح في خلق علاقة بين الألفاظ ليخلق صورة فيها إيحاءات كثيرة وعميقة لتنفجر الطاقات الكامنة فيها لتعبر بصورة أعمق عن المعاني. وهذا يدل على قدرة الشاعر على خلق المعاني بصيغ جديدة ((فالمعيار لاينطفئ أو يموت، انه يتوقد دوما ويتحرك، ويتكامل ابداً وما حركته الا حركة الجذر في التربة،وفي الفضاء في الوقت نفسه،وقد يستمد حياته الداخلية من فضاءاته اللحظية الزمنية التي ترسخ فيها عناصره في عمق الزمان والمكان))[١].

وهكذا رسم ابن زيدون معاناته النفسية وهو يعيش الغربة في ليلة العيد من خلال اللفظ والمعنى الأساليب والتراكيب في علاقات توافقية وغير توافقية ضمن دائرة الإبداع الفني ليجسد مشاعره، وينسق أفكاره وانفعالاته عن طريق هذه الأساليب لتنقل المتلقي إلى آفاق غير الآفاق المعهودة، وتحلق في سماء الخيال مثيرة الدهشة، والمتعة في نفسه.

ويبقى أن نقول إن من ((ليس له طلل ليس له وجود في المكان ولا في الزمان، إن هذا الطلل ينمو في داخل الإنسان حتى يحين وروده فيدخل فيه دون صدوره، ولكن حين تترك علامة على قبر الإنسان بعد موته، يترك الشاعر قصيدة تأخذ مادتها من الطلل وتتحول هي نفسها إلى طلل لشعراء آخرين))[٢].

وقد استغل الشاعر في الطلل الزمان الباطني، واظهر دلالته على الوجود المكاني ليصل إلى الآخر ويتحد به ليثبت الحقيقة العشقية التي توجت تجربته الإبداعية فكان هذا الكم الهائل من النصوص الأدبية.

٣- المدينة

(١) العمل الادبي من المعنى الى التشكيل ، عباس امير ، ص٣٨ .
(٢) الكلمات والاشياء ، التحليل البنيوي لقصيدة الاطلال في الشعر الجاهلي ، د. حسن البنا عز الدين ، ص١٦٣.

المدينة حيز مكاني لها حدود هندسية، ولها دلالات رمزية واسعة ومتعددة، ضمت من خلال التوظيف الرمزي الفاعل لها، وبرزت المدينة في شعر ابن زيدون بشكل يختلف عما هي عليه عند كثير من الشعراء، إذ عدها بعض الدارسين من ألاماكن المعادية غير الأليفة، في حين ظهرت في ديوان شاعرنا بأبهى صورها الخلابة، وبما إن الشاعر ابن الطبيعة فأن دراسة المدينة ستكون مختلفة عما سبقتنا من دراسات[١] بحسب طبيعة البلاد٠

عاش ابن زيدون في قرطبة أجمل مدينة في الاندلس وفي ضاحية (الرصافة) في اسرة من ابرز الأسر الأرستقراطية العربية بقرطبة[٢]٠ وقد رسم ملامحها في أروع اللوحات الفنية التي تجسد العلاقة القائمة بين الشاعر والمكان وهي علاقة روحية نابعة من أعماق الذات الذائبة في التجربة الفنية٠ كما أظهرت في شعره صورة مدينة((الزهراء)) و((اشبيلية)) و((بلنسية)) وغيرها كثير،كما ظهرت صور قصورها وتماثيلها وحدائقها وأنهارها بشكل فني رائع يجعلنا نحلق في سماء المجد العربي الذي بنى أجمل الحضارات على ارض الاندلس ولكنه تركها أطلالاً ((حظيت بنفحات أبداعية من الشعر لم تحظ بها أطلال تاريخية أخرى٠ ولازالت إلى اليوم وهي تستثير الخيال حنينا اليها واستعادة لأيامها وتخليدا لاثارها٠ وإنها لحكمة بالغة للمسلمين اليوم كي يتداركوا أمرهم ويعالجوا شئونهم بتعقل وحكمة وإيثار وليضعوا نصب أعينهم وهم يعيشون حاضرهم مصير الاندلس ومل آل اليه أمر الإسلام والمسلمين فيها))[٣].

وقد تتحول هذه المفاهيم الجمالية في رسم الحدود الهندسية وما في داخلها الى سجن يضيق بالإنسان الى درجة الاختناق فيتحول المكان الأليف الى مكان غيراليف[١]٠ ولكن يبقى الإبداع الفني سائدا فيهما أي إن الشاعر لا يسجن الطاقة

---

(١) ينظر: الرسائل الجامعية الاتية
المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب غالب
المكان في الشعر المهجري ، حكيم صبري عبد الله
دلالات المكان الشعري دراسة في شعرحسيب الشيخ جعفر ، ناجي عباس
(٢) عصر ابن زيدون ، د٠ جمعه شيحه ، ص٢٠٦
(٣) الاطلال في الشعر العربي دراسة جمالية،محمد عبد الواحد حجازي،ص١٥٤.
(١) هذا ما سنقف عنده في المبحث الثاني .

الإيمائية للمكان غير الأليف في تطوير الحدث الشعري وأغنائه لان رفض المكان لا يعني إلغاء قيمه الجمالية[٢]. وفي هذا قال ابن زيدون: [٣]

على(الثَّغَبِ الشَهْدِي)مِني تحيةٌ — زَكَتْ، وعلى(وادي العَقيقِ)سلامُ
ولا زال نَورٌ (في الرُّصافةِ)ضاحكٌ — بأرجائها يبكي عليه غَمامُ
معاهدُ لَهْوٍ لم نزلْ في ظلالها — تُدارُ علينا – للمجُونِ – مُدامُ
زمانَ: رياضُ العيش خُضْرٌنواضرٌ — ترفٌّ وأَمواهُ السُّرورِ جِمَام
فإن بانَ منّي عَهْدُها، فَبلوْعَةِ — يُشبُّ لها بين – الضلوعِ– ضرَامُ

تشكلت في النص ثنائية ((الإنسان / المكان)) بين طرفيها علاقة بعد زماني يشكل بدوره ثنائية ((الماضي / الحاضر)) ومنها تتولد ثنائية ((القرب / البعد)) ((الفرح / الحزن)) ((الضحك / البكاء))تصطحبها أماني في النفس المعذبة تريد عودة الماضي ،لأنه يجمع بين ((أنا / الآخر))على ارض الوطن الأم ((قرطبة)).

إن الصورة الشعرية التي يرسمها النص تؤكد المعاناة النفسية التي تسيطر على مخيلة الشاعر فتجعله يبتدأ النص بحرف الجر ((على)) ثم يذكر المكان الذي يريد أن يبعث له التحية ويكرر الحرف من الشطر الثاني يبعث السلام إلى وادي العقيق ثم يسترسل في استحضار الماضي، ووصف ما احتفظت به الذاكرة من صور أدبية رائعة ولم تكن هذه الصور نقلا لمشاعره فقط، وإنما هي صورة للزمن

((تزودنا ببعض المفاتيح والاستبصارات الطبيعية ووظيفة النواحي الهامة للخبرة والحياة))[٤]كما إن هذه الصور التي يرسمها الشعراء في تصويراتهم، لم تكن اعتباطية في تشكيلاتها وإنما هي ((صور ترسبت في لا شعور الشاعر، ولم يثرها ها هنا ولم يجمع بينها إلا شعور خفي بالخوف من المستقبل، من الفكرة الهرمة التي دخلت ميراث الشاعر الروحي)) [١].

(٢) دلالات المكان الشعري دراسة في شعرحسيب الشيخ جعفر ، ص٤٨ .
(٣) الديوان: ص١٨١ .
(٤) الزمن في الأدب ،هانزميرهوف ،هانز ،ص١٤٦.
(١) البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر ، د. ابراهيم السامرائي ، ص٥٦ .

ويتجه الزمان باتجاهين، اتجاه ايجابي هو سير الزمان بشكله الطبيعي نحو الأمام ليخلق الحاضر ويترقب المستقبل من خلاله، واتجاه سلبي عكس الأول يرجع بالزمان إلى الوراء، ليعيد الإنسان إلى الماضي عن طريق الذكرى ويتحقق هنا الجمع بين الحركتين في لحظة آنية قاسية فيقول: (٢)

تذكرتُ أيَّامي بها، فتبادرتْ ... دموعٌ، كما خانَ الفريدَ نظامُ
وصُحْبةَ قومٍ كالمصابيح، كُلَّهمْ ... . إذا هز للخَطبْ المُلِمّ – حسامُ
إذا طافَ بالراح المُديرُ عليْهمُ ... أطافَ به بيضُ الوجُوهِ، كِرَام
وأحوَرُ ساجي الطَرفِ، حشوُ جفونِهِ ... سَقامُ، بَرَى الأجسامَ منه سِقامُ
تخال قضيبَ ألبان – في طيِّ بُردِهِ ... إذا اهتز منه معطف وقوام
يُديرُ – عِلى رغم العِدا – من وِداده ... سُلافًا ، كأنْ المِسْكَ مِنْهُ خِتَامُ
فمن أجْلِهِ أدعو لقرطبةِ المُنَى ... بسُقْيَا ضعِيفِ الطَّلِ وهْوَ رِهَامُ (٣)

يدور الشاعر في فلك الزمن، الذي شكل ظاهره كبرى في شعره،فقد دل الاستقراء أن الزمن عنده متشعب ومتداخل ،له رمزيته الخاصة ،فقد كان إيقاعا وجدانيا ينم عن صدق الإحساس لان زمنه مرتبط بـ ((السيرة الحياتية وبهوية الذات))(٤) كما ينمُ عن صدق التجربة الجمالية التي أفصحت عن قدرته الإبداعية ((تذكرت)) جملة فعلية فعلها فعل مضارع يدل على الحركة من اللحظة الآنية باتجاه المستقبل وتحمل معها صورة الماضي ((تذكرت)) لوحة فنية لها أبعاد تغوص في أعماق الزمن وتنقلنا إلى أماكن وتستحضر صور أشخاص ، وتثير في الوجدان مشاعر صادقة فتنهال الدموع.

تذكرتُ ←——— أيامي بها ((قرطبة)) ———→فتبادرت دموعُ

فالذات تحن وتذكر، ولكنها لاتذكر إلا ما له وقع واثر واضح فيها فعندما تعرض الأحداث التي جعلت من ذلك المكان، وفي ذلك الزمان بؤرة حنين وشوق.

(٢) الديوان: ١٨١ -١٨٢ .
(٣) الرهام : جمع رهمة وهي المطر الخفيف الدائم الذي لايؤذي.
(٤) الزمن في الادب ،هانزميرهوف ،ص٣٤ .

لقد تلونت دائرة النص منذ مطلعه ((على الثغب الشهدي)) الى نهاية ((فمن اجله ادعو لقرطبة.....)) بالوان الانفعال وتعاورت في الظهور والاختفاء، ويرى الدكتور عبد اللطيف يوسف أن النص ((ينطلق بطلب موضوعي نابع من موقفه النفسي الذي غدت روحه في حالة اليأس وحزن لاتنفك محيطة به، فهو يعرض تبرمه من الغربة المؤرقة له ليل نهار فالجو العام هو الذهول والضعف . الا أن نبرته في البيت الثاني اختلفت باختلاف دائرته فقد تنامى انفعاله متحسرا على واقع لايكُنَّ له كل الوجد فالابيات التي تليه هي امتداد للتذكير والتذكرحتى اذا استكمل الحديث ابتدأت دائرة اخرى تختلف عن سابقاتها بأستنفارطاقاته الوجدانية لاقامة توازن بين ماضٍ عاشه بآلامه وبين طيٍّ صفحة اخر لقاء))(١).

ان الذكرى السعيدة تطبع في المخيلة، لان إحداثها مرت في استقرار وهدوء فطبعت كاملة، وظهرت في الحاضر للحاجة الماسة لوجودها لتعليل النفس التي تعاني التمزق بين ((الماضي / الحاضر)) مع البعد المكاني الذي اجبر على الإقامة به . من اجل هذه الذكريات الجميلة دعا لقرطبة بلسقايا ،وأي سقاية تلك ،مطر ندي خفيف ينعشها ويطيب ثراها.

فمن اجله ←—— الآخر ((الحبيبة)) ——→ ادعو لقرطبة ——→ بسقيا ضعيف الطل

وفي ذكرياته عن قرطبة قال: (٢)

أقرْطبةُ الغَرَاءُ! هل فيكِ مَطمعُ؟

وهل كَبِدٌ حَرى لبَينْك تُنقْعُ؟

وهل لِلياليكِ الحميدةِ مَرْجِعُ؟

(١) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون ، دراسة نقدية، ص١٦٢-١٦٣.
(٢) الديوان:١٥٧.

إذ الحسنُ مرأى– فيك – واللَّهْوُ مسَمْعُ وإذْ كَنَفُ الدنيا – لديكِ – مُوَطَّأُ [١]

في النص حوار مع الآخر ((الذات)) التي تعاني البعد المكاني وقد استخدم الاستفهام بـ (الهمزة مرة و((هل)) ثلاث مرات وهذا التنوع في استخدام أداة الاستفهام يساعد على إظهار ما في نفس الباث من حيرة غالبة وقلق عام [٢].

إن هذا التساؤل الذي يوجهه ابن زيدون إلى المكان ((قرطبة)) يعبر عن قلقه وخوفه من دوام الحال والعيش بعيدا عن الأهل والأحباب في قرطبة الغراء. ((إن الاستفهام يرينا التجربة وهي تنمو وتتخلق ويكشف عن الثنائية التي انتظمت الشاعر ويرينا صوته الداخلي متوازيا مع صوته الخارجي ...))[٣]

ويواصل حواره مع الذات فيصل إلى ذكر الزمان قائلا: [٤]

أأنسى زمانًا (بالعقُابِ)مُغَفَلا ؟

وعيشا بأكناف (الرُّصافةِ) دَغفلا ؟

ومَغْنى – إزاءَ (الجَعْفريَّةِ) . أقْبلا.

لنِعمَ مرادُ الأنسِ رَوْضًا وجدولا ونِعْمَ محلُّ الصبَّوةِ المُتَبوأُ

يظهر في النص إن الشاعر وصل إلى مرحلة من التوتر النفسي فذكر أماكن عديدة ((العقاب)) و((الرصافة)) و((الجعفرية)) و((الروض)) و((الجدول)) وكلها تتحرك ضمن دائرة الذكرى ((انس زمانا)) وهذا الزمن هو زمن وجداني أحسه ابن زيدون بعد حوار طويل مع الذات المغتربة ، إن الزمن الوجداني يختلط فيه الماضي بالحاضر بالمستقبل مكونا زمنا خاصا.[١] لا يمكن تحديده فهو نسبي يتباين وجوده

---

(١) الكنف: الناحية او الظل ، وكنف الله : حرزه وستره ورحمته ، موطا : ممهد ومهيأ.
(٢) ينظر: الاسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ،د.فتح الله احمد سليمان ،ص٦٤ .
(٣) اساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي ، د. حسن عبد الجليل يوسف ، ص١٢٩.
(٤) الديوان:١٥٧ ـ١٥٨ .
(١) ينظر: دليل الدراسات الاسلوبية ، د. جوزيف ميشال شريم ، ص٣١ .

من شخص لآخر ولا يدركه إلا الفرد نفسه(٢). لان هذا الزمن يكمن في داخل الإنسان وتتحكم به مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته وهو مرهون بالموقف الذي يمر به الإنسان – أي اللحظة التي يعيشها(٣).

ويواصل ابن زيدون وصف الأماكن في قرطبة فينادي قائلا: (٤)

ويارُبَّ ملهى (بالعقيقِ) ومجلسِ

لدى تُرعةٍ، ترنُو بأحداقِ نرجسِ

بِطِاحُ هواء مطمع الخال مُؤنسِ

مَغيمٍ – ولكنْ من سَنا الرَاحِ – مُشْمِسِ   إذا ما بدت – في كأسها. تَتَلألأُ.

ثم ينادي الزهراء قائلا: (٥)

ويا حبَّذا (الزهراءُ) بهجةَ منظرِ

ورقَةَ أنفاسٍ وصحَّة جَوَهرِ

وناهيك من مبدَا جمالٍ ومحْضرِ(٦)

وجَنّةِ عدنٍ تطَّبيكَ وكوثرِ   بمرأى يزيدُ العمرَ – طيبا – ويَنْسأُ .

عاش ابن زيدون في عصر ازدهرت فيه الحضارة العربية، واهتم الخلفاء والوزراء ببناء المدن وشيدوا القصور الفخمة في وسط الحدائق والرياض وفيها تجري

(٢) ينظر: الزمن والرواية ،أ.أمندولا ،ص١٣٨ .
(٣) حدس اللحظة ، جاستون باشلار ،ص٤٩.
(٤) الديوان : ١٥٨ ، الترعة: فوهة الجدول ،او الروضة في مكان مرتفع ،البطاح: مسايل المياه ، وبطاح هواء ، الخال : السحاب الذي لايخلق مطره والمعنى مساقط هواء عليل ، يطمع في المطر لرقته ويؤنس فيه لجفافه والجو مقنع بالغيوم ولكنه مضيء من اشعة الخمر .
(٥) الديوان:١٥٩.
(٦) ناهيك :حسبك ، تطيبك : تدعوك ، ينسأ:يؤخر .

الجداول والأنهار، وقد وصفها الشعراء في أجمل القصائد[١]. وقد ذكر ابن زيدون الوطن والقصور التي شيدت فيه في أرجوزته الرائعة ((زفرة الشريد)).[٢]

إذا أتيتَ الوطَنَ الحَبيبا

والجانبَ المُسْتوضَحَ العَجيبا

والحاضرَالمنفسِحَ الرَّحيبا[٣]

فَحيِّ منه ما وَرَى الجُنوبا

* * *

مصانعُ تُجَاذِبُ القلوبا [٤]

حيث ألفِتُ الرشأَ الرَّبيبا [٥]

مُخالفاً في وَصْلِهِ الرقيبا

كم باتَ يَدْري لَيْلَهُ الغِربيبا [٦]

لما انْثنى في سُكْرِهِ قَضيبا

تَشْدو حَمَام حَلْيِهِ تَطْريبا [٧]

(١) ينظر: الديوان ١٥٤ ، ١٧٠ ، ١٨٥، ٣٢٣ ، ٥٠٧، ٥٨٨.
(٢) الديوان : ١٨٥ .
(٣) ورى: اوقد، والمعنى حي من هذا الوطن ماشعل جذوة الشوق بين الجوانح والمعروف ان قرطبة تقع الى الجنوب من بطليوس.
(٤) المصانع : الحصون او القصور .
(٥) الرشا: الظبي الصغير حين يقوي على المشي والعدو خلف امه ، الربيب : الناشئ في النعمة .
(٦) يدري : يحتال ، الغربيب : الشديد السواد ، والمعنى انه طالما خدع الرقباء وتحين الفرص تحت جنح الظلام للقاء.
(٧) المعنى ان وسوسة حليه ترن كما يغرد الحمام .

نكشف في القصيدة مجموعة من الصور الاحتفالية المتداخلة وهي صورة للمكان الذي يتجزأ إلى مجموعة أمكنة تتداخل ضمن سياق منفلت من حدود الرؤية المتسلسلة .

يمثل ((الوطن)) صورة قرينة للأرض والأم، وتصبح الأرض طللا من أطلال الطبيعة في ذات المغترب. التي تتأرجح بين ثنائية ((الحضور / الغياب)) ((الذات / الوطن)).

وتداخلت الأماكن في النص وتجمد الزمن عبر صورة المكان والذي مثل اختراقا لتضاد المظاهر المعرفية في اللغة واقتناصا لقوى الحدس الباطني التي تتعبأ بها ((لان كل معرفة تحمل جانبا جديدا من التكوين والإنشاء))[١] والتجديد أساس في عملية الخلق الأدبي لان بنية اللغة لا تكتسب وجودها المتنامي إلا في السياق الذي ينقلها من معجمية متناثرة الى دلالة متصورة فالشاعر هو في عملية ترويض لا واعية لمكنوناتها لأجل استبطان الشكل المتحول والذي من خلال تمريره في ذهنية التلقي فانه سيحفل بدورة حياة معرفية غير منتهية وتعد الصورة الشعرية أداة الاستشراق الأولى على هيكلية اللغة .[٢] ذلك إن ((للألفاظ روحا تتحرك وتثير))[٣] وهذا ما جعل فرصة الخلق المستمر داخل النص.

وتستمر الأماكن في التداخل وتظهر الصورة الشعرية بابهى درجات الإبداع..

مصانعٌ ←——— تجاذب القلوب

الفت ←——— الرشا الربيبا = المرآة

---

(١) درس الابستملوجيا ، عبد السلام بنعبد العالي ،ص٥٣.
(٢) دلالات المكان الشعري ،دراسة في شعر حسيب الشيخ جعفر ،ص١١١-١١٢ .
(٣) سايكولوجية الشعر ،نازك الملائكة ،ص١٥ .

ودخلت صورة المرأة مع تداخل صور الأمكنة، فالمرأة ((تتزين بموجودات المكان، والمكان يكتسب وجوده وحضوره، واقعيا وخيالا عبر وجود المرأة فيه))[١] ومن خلال تتضيد الصور المكانية في سياق جمالي موحد.

(١) جماليات المكان في شعر عرار ، د. تركي المغيض ،ص١٩٩(بحث).

المبحث الثاني

(المكان غير الأليف)

هو المكان الخانق، الملقى خارج النفس، الذي يثير في الذات الإنسانية الخوف والقلق لدرجة الاختناق، وتكون العلاقة بينه وبين الشخص علاقة عدائية، سلبية ... وتتخذ فعاليات هذه الأمكنة طابعا عشوائيا يصعد عند الإنسان فاعلية الإحساس بالخوف من المجهول، ((فكلما زاد التشويش في المكان ، زاد شعور المرء بأنه لا فائدة من عمل شيء، وهنا تواجهنا حلقة شريرة أو سلم حلزوني، حيث تؤدي الفوضى الى إرهاق الإرادة، ويؤدي إرهاق الإرادة الى فوضى أكثر))(١).

وقد يتعرض الإنسان الى موقف ما في الحياة فيعيش مرغما في بعض الأمكنة الضيقة أو الواسعة وفي الاثنين يعاني الاغتراب بكل أنواعه وتفاصيله النفسية المؤلمة . وتتمحور هذه الأمكنة في شعر ابن زيدون – بوصفها المساحة الموضوعية لها . حول شكلين مكانيين رئيسين هما:

أ- المكان الضيق : السجن

ب – المكان الواسع:أماكن التخفي بعد هروبه من السجن وتتمثل بالمدينة

أما المساحة النفسية لهذه الأمكنة، فإنها بشكل عام ،ذات مساحة نفسية ضيقة خانقة تحاصر الإنسان من كل حدب وصوب وتقيد حركته الجسدية والروحية فيعيش فاقدا للحرية مما يجعل المكان المعادي غير الأليف بمختلف هيئاته، مكانا يحمل سمات السجن أو القبر بالمعنى المجازي.

لقد ارتبط مصير الإنسان هنا ارتباطا وثيقا بالمناخ النفسي، فان عاش الشاعر بتجربته الفنية على ارض الواقع نقلها للمتلقي بإبداع الصور الجمالية ((فكل شاعر حقيقي يتوق الى عالم وراء العالم الأليف .. فترينا القصيدة ما لا تراه ولا يعني هذا إنها غير واقعية بل يعني إنها تقدم واقعا من مستوى آخر لا يرتبط بالواقع المرئي بل

---

(١) الشعر والصوفية ،كولن ولسون ،ص١١٧ .

يتطابق معه بشكل ما))[١] وهذا ما سنقف عنده في ثنائية ((الضيق/الواسع)) في شعر ابن زيدون

١. (السجن)

ذلك المكان المعادي الذي يحمل صورة العذاب والقهر والعقاب. وأن للسجن ((أثرا كبيرا في الضغط النفسي على عموم من دخله وأكثرهم تأثيرا الشعراء))[٢]. لما لهم من حس مرهف وخيال خلاب.

ولعلي لا أغالي إن زعمت إنّ إنسانا لم يسبق ابن زيدون في بلاد الأندلس امتلك قدرة إبداعية من خلال التجربة الجمالية لان آفاق الشاعر تتسع بمقدار اتساع تجاربه النفسية وثقافته العلمية وثروته اللغوية، وكلما غزرت مادته اللغوية أعانته على إجادة التصوير وروعة الأداء . وهذا ما وجده الأستاذ علي عبد العظيم في شعر ابن زيدون وقد أشار الى ذلك بقوله:((إن شاعرنا كان واسع الإطلاع غزير المادة الأدبية ، وإنها كثيرة الظهور في شعره وكان يعتمدها أحيانا ليدل على سعة إطلاعه ، وغزارة ثقافته ، ومعرفته التامة بأوابد العرب وأيامها، وأحداثها ... أما أفكاره وعواطفه فتحمل ذاتية غنية خصبة صادقة الأداء عميقة الشعور، وان طريقته الفنية في التنضيد والتنسيق لا تكاد تقل عن درجة الخالقين المبتكرين))[٣].

ولا نغالي أيضا إذا قلنا إن إنسانا لم يصب في حياته حسرة وألما في بلاد الأندلس ، مثلما أصاب ابن زيدون ، فقد حاك الحاقدون الدسائس والمؤامرات ضده في حضرة الخليفة وفي مجلس ((ولادة)) توأم روحه ولب قلبه ،وفي الوقت نفسه أضاع الاثنين . الوزارة والحب ..

(١) السيريالية والصوفية ،اودنيس ،ص١٧٦ .
(٢) ادباء السجون ،عبد العزيز الحلفي ،ص١١ .
(٣) ابن زيدون عصره وحياته وادبه، علي عبد العظيم، ص٤٨٩ -٤٥٠ .

لقد حوكم شاعرنا محاكمة ظالمة وصفها هو بقوله في رسالته لأستاذه أبي بكر مسلم بن احمد المتوفى سنة ٤٣٣ هـ[١] قال فيها ((في علمك إني سجنت مغالبة بالهوى وهو اخو العمى وقد نهى الله تعالى عن إتباعه وذكر انه مضل عن سبيله إذ يقول. ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ...))[٢] ويتهم القاضي الذي أصدر الحكم بأنه غير عدل إذ يقول في إحدى قصائده لابن جهور: [٣]

أفي العدلِ أنْ وافَتْكَ تَتْرى رسائلي

فلم تَتْرُك وَضْعَا لها في يَديْ عَدل؟

ولم يكتف الأمير بالسجن ولا بظلم الحكم، بل استخدم أقصى أنواع التنكيل به ووضعه من السجن في موضع الخباة المفسدين واللصوص المقيدين ومن لفيف الأخلاط.[٤]

إن كل هذه الأمور تركت أثرا عميقا في نفس ابن زيدون وجعلته يعيش الغربة الأبدية والشكوى المؤلمة لتوصيل خطراته الذاتية بنفحات حزينة باكية.

قال: [٥]

ظَعنْت، وكان الحُرُّ يُجْفى فيظْعَنُ

وأصبحتُ أسلُو بالأسَى حَين أحَزَنُ

وَقَرَّ. على اليأسِ . الفؤادُ الموطَّنُ

وإنَّ بلادا هُنتُ فيها لأهَونُ   ومَّن رامَ مثلي بالدنَّيةِ أدْنَأُ

---

(١) ينظر: الصلة : ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال ص٥٦٧ .
(٢) الذخيرة، ابن بسام ،ج١ / ٣٤٥ .
(٣) الديوان : ٣٥٠. والمعنى أفي شريعة العدل أن ابزع اليك متوسلا بالرسائل المتوالية فتضم اذنيك عن سماعها. وتضعها في يد ظالمة ؟ ولعله يقصد بهذا ابن المستوى الذي حاكمه فظلمه وزج به في السجن.
(٤) ينظر: الذخيرة: ج١ / ٣٤٨ .
(٥) الديوان : ١٦٠.

ولا يُغْبِطِ الأعداءَ كَوْني في السَجْنِ

فإني رأيتُ الشمسَ تُحضنُ بالدَّجنِ[١]

وما كنتُ إلا الصَّارِمَ العَضْبَ في جَفْنِ[٢]

أو اللّيثَ فِي غابِ، أو الصّقرَ في وكْنِ أوِ العلقَ يُخَّفى في الصِّوانِ ويُخبأُ [٣]

ما يلاحظ على النص ذلك الحزن الممضى والعبرات المنكسرة التي تكاد تضيق بها النفس المغتربة والتي تعاني القلق والحنين وفقدان الأهل والأحباب. نتيجة الاستبداد والقهر تصاحبها معاناة حادة وألم نفسي وروحي ((فالمغترب يعيش مع الناس لكنه غريب عنهم بخلوته الى نفسه . وهو يبتعد فكريا ونفسيا عن المجتمع))[٤] وكيف حال ابن زيدون وهو يعيش الغربة المكانية والزمانية معا في ظلام السجن.

حاول الشاعر أن يهيئ ذهن المتلقي في المقطع الأول لمضمون الحدث – السجن– الذي أفصح عنه في المقطع الثاني، وذلك من خلال استهلال النص بلفظة ((ظعنت)) التي تشير الى الغربة المكانية، ولكنه يبرر لنفسه ويخفف عنها وطأة الحدث..

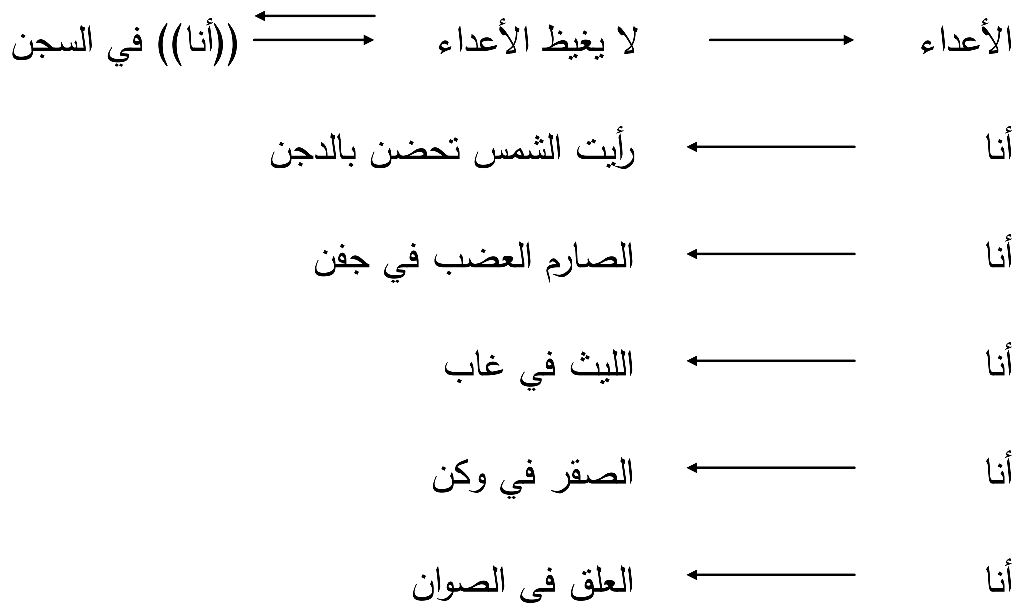
ويستمر في وصف الحالة النفسية والحزن الذي يعصر قلبه واليأس الذي اخذ من الفؤاد موطنا لتتضح الصورة الشعرية وتتلون بلون مأساوي لأجل تفعيل ثقافة العين واقتراح فضاءات حسية وحدسية تتجاوز حدود الظاهر[٥] . ((والوصف يتيح للأشياء أن تتموقع في فضاء اللغة متحققة باللغة واذ يستبد بفضاء النص فأنه يتلذذ

(١) تحضن : تحبس وتمنع ، الدجن : الغيم.
(٢) الصارم العضب : السيف القاطع ،جفن : عمد.
(٣) وكن : عش، العلق:التحفة الثمينة ، الصوان والصيان :وعاء الصون والحفظ او في بعض النسج (الصوار) وهو وعاء المسك .
(٤) الاغتراب في تراث صوفية الاسلام ،د. عبد القادر موسى المحمدي ،ص٦٧.
(٥) محاضرات د. هناء جواد على طلبة الدكتوراه ، مادة تحليل نص ادبي لسنة ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

بهزيمة الزمن وخيبته العميقة ذلك لكي يؤسس من النسيج النص لشعرية التفاصيل))[1].

لذلك وهبت الصورة له قدرة استبصارية على قراءة الواجهة المظلمة للمكان لانهالا تنقل الينا الاستجابة الانفعالية للشاعر فقط بل تنقل إلينا الفكرة التي انفعل بها الشاعر نقلا تصويريا تتداخل فيه القيم الفنية للعمل بالقيم الموضوعية وتظهر فيه كنوع من التناسق الديناميمي أو التوافق الجدلي بين الرمز والمعنى، وهنا تتحقق التجربة الجمالية وعندها يصل العمل الأدبي إلى درجة الإبداع[2].

وقد وجدنا في النص ما يثلج القلب من صور إبداعية ، إذ نفي الفرح للأعداء الشامتين بسجنه وأثبته لنفسه من خلال الصورة الفنية داخل إطار المكان المغلق ((السجن)) ضمن ثنائية ((المطلق ((الحر)) / المقيد ((السجين)) والتي تسود بين طرفيها مجموعة ثنائيات أبرزها ((الفرح / الحزن))، وقد نفي ابن زيدون الفرح الذي تمسك به أعداءه معلنا ثبوته لذاته من خلال أروع الصور الفنية.



(١) شعرية المكان في الرواية الجديدة ، خالد حسين حسن ، ص١٣٠ .
(٢) محاضرات د. هناء جواد على طلبة الدكتوراه ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦.

وهذه الصورة أعطت للنص حركة سريعة إلى العالم المفتوح بعدما أحس الشاعر بضيق شديد من الم الفراق وشدة المصائب وشماتة الأعداء وهو يعيش في السجن وحيدا[١] .

إن مثل هذا الشعر يكون تعزية للنفس وما حل بها من مصائب لذلك نجد ابن زيدون لم يصف السجن مكانا ذات أبعاد هندسية ومواصفات مادية ، بل كانت أشعاره التي أرسلها من السجن نفحات روح تحضر ، وذات تعتصر ، انه وصف للذات التي تعيش في داخل السجن وهي قد تعودت على الكبرياء والعنفوان وفي ذلك يقول: [٢]

لا يُهنىء الشَّامتَ المرتاحَ خاطرُهُ   أنِّي مُعَنىً الأماني ضائعُ الخطرِ
هلِ الريِّاحُ بنجمِ الأرضِ عاصفةٌ ؟   أم الكُسوفُ لغير الشِّمس والقَمَرِ؟
إن طال في السِّجنِ ايداعي فلا عجَبُ   قَد يوُدَعُ الجفْنَ حدُّ الصَّارَمِ الذَكَرِ
وإن يُثِّبط .((أباالحزمِ)) الرَضد قدرٌ   عن كشفِ ضُرَي فلاعتْبٌ على القَدَرِ

أما موضوعات الذات التي تعيش في ظلمة السجن فكانت تدور في فلك الاستعطاف والعتاب، ووصف المأساة واستحضار الماضي عن طريق الخيال والشوق للأهل والأحباب.

واللافت للنظر في ديوان ابن زيدون لا نجد استعطافاً فيه تذلل أو خضوع... بل كان محافظا على إبائه وعزة نفسه على الرغم من قسوة المصيبة والمعاناة بسبب السجن وفي ذلك تقول د. رشا الخطيب فـ ((الشاعر المشهور ابن زيدون الذي ألقاه ابن جهور في السجن على خلفية مؤامرة سياسية، لا نجد في أشعاره ذلك التذلل والخضوع الذي وجدناه عند بعض الشعراء. بل هو في استعطافه يخاطب ابن جهور مخاطبة الند للند ويوازي نفسه به ولا يتذلل إليه))[٣] وكتب في أخريات أيام سجنه

(١) محاضرات د. هناء على طلبة الدكتوراه ، ٢٠٠٥.
(٢) الديوان: ٣٤٠ـ٣٤١.
(٣) تجربة السجن في العصر الاندلسي ،رشا عبد الله الخطيب ،ص٧٧ .

رسالته الجدية وأودعها ما أودعها من عتب وشكوى ورجاء[١] ثم شفعها بقصيدة عتب قال فيها: [٢]

أيها المُؤذني بظلِم اللّيالي	ليس يَوْمي بواحدٍ من ظَلومِ
ما ترى البدَر . إن تأملْتَ . والشَّمْـ	سَ هما يُكسفانِ دونَ النَّجومِ [٣]
وَهُوَ الدَّهْرُ ليس ينفكُّ ينَحْو	بالمُصابِ العظيم نَحْوَ العظيمِ
بوأ اللَهُ ((جَهْوراً)) أشرفَ السّو	دَد في السُرْوِ واللُّبابِ الصَّميم
واحدٌ سَلمَ الجميعُ له الأمـ	رَ، فكان الخُصوصُ وَفقَ العُمومِ
قلد الغُمْرُ ذا التَّجارب فيه	واكْتفَى جاهلُ يعلمِ العليمِ
أيهذا الوزيرُ ها أنا أشكو	والعصَا بدءُ قرْعِها للحليمِ
ما عَسِيٌّ أن يألفَ السابقُ المرْ	بَطَ في العِتقِ منه والتَّطهيمِ
وبقاءُ الحُسامِ في الجَفْنِ يثْنِي	منه بعد المَضاء والتَّصميمِ
بأبي أنت !! إنْ تَشَأ تكُ بَردا	وسلامْا كنار إبراهيمِ

تتحرك الأبيات داخل إطار الذات التي تعاني من الم الاضطهاد والظلم والتي تعيش بين طرفي ثنائية ((الماضي / الحاضر)) وما بينهما تناقض مرير . بالأمس كان وزيرا ذا مكانة عالية وهو من اقرب الناس للأمير واليوم في السجن يستعطفه ليخلصه من محنة الزمان. وعلى الرغم من أن النص يحمل صورة الاستعطاف ظاهريا لكنه يوحي بدلالات رمزية وخطاب خفي انه حديث الند للند وقد أشارت عبارة ((والعصا بدء قرعها للحليم)) لتؤكد ما ذهبنا إليه. والمعنى أيها الوزير لقد ضرعت إليك بالشكوى لأنبهك الى ما وقع علي من ظلم وآمل أن تنتبه إليه فتزيله.

وحفلت الذكريات بحيز كبير من أشعار ابن زيدون في سجنه، لان حياته السابقة حافلة بالصور اللاهية المثيرة التي تمثل العز والسيادة والصفاء والحب

(١) الديوان : ٦٨٧.
(٢) الديوان :٣٥٩.
(٣) أي ان احداث لا تصيب الا العظماء .

الصارم الذي عصف بكيانه عصفا . وقد تطلع في السجن الى القمر فوجده معادل موضوعي لحبيبته ((ولادة)) التي كانت زهرة من زهرات البيت الأموي[1]، امتلكت من الجمال وروعة الخلق ما لا يوجد بين البشر . فقال قصيدته ((في غيابة السجن)) [2].

ما جالَ بَعْدكِ لحظي في سَنا القمرِ	إلا ذكرتُكِ ذكر العين بالأثر
ولا استطلتُ ذَماء الليل من أسفٍ	إلا على ليلة سرتْ مع القِصَرِ
[في نشوةٍ من سِناتِ الوصَلِ مُوهمةٍ	ألا مسافةَ بين الوهنِ والسَّحر]
ناهيكِ من سهرٍ بَرْحٍ تألفهُ	شوقٌ إلى ما انْقَضَى من ذلك السُمَرِ
فليت ذاك السَّواد الجَوْنَ مُتَّصِلٌ	لوِ اسْتعارَ سوادَ القلبِ والبَصَرِ

تشكل الذكرى بؤرة الحقيقة التي انطلق منها الشاعر ليرسم صورة ((الآخر)) ((الزمن، الحبيبة، المكان)) وقد جعل من العلاقة التوافقية بين صورة القمر في الليل معادلاً موضوعياً لصورة الحبيبة في ذاته داخل ظلمة السجن ومن هنا كان التحرك نحو الماضي السعيد ليحضر هنا ويأخذ دوره الفعال في تعليل النفس المعذبة.

٢. أماكن التخفي

(١) تنتسب ولادة الى اعرق بيت مالك عربي في الشرق والغرب .. تنتمي الى عبد الرحمن الناصر اشهر خلفاء بني امية بالاندلس وابوها الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصري الملقب بالمستكفي بالله
ينظر:الذخيرة، ابن بسام، ج٣٦٩/١

(٢) الديوان: ٣٣٨ .

لقد عانى ابن زيدون من الظلم ومن المعاملة السيئة له في السجن الشيء الكثير وما بلغه من وعيد وتهديد جعله يفكر بالفرار والخلاص من هذا المكان الضيق المظلم الكئيب.

ان الفرار من السجن مدعاة لإثبات التهمة عليه وسوء الظن به وقد لامه كثيرون وفي مقدمتهم أستاذه أبو بكر مسلم بن احمد على هذا التصرف، فعاتبه الشاعر على هذا الملام قائلا في مقدمة خطاب طويل ((ابدأ من كتابي إليك بشرح الضرورة الحافزة الى ما صنعت، مما بلغني انك صدر اللائمين لي عليه، وأول المسفهين لرأيي فيه...))[١] ثم اخذ بسرد قصة السجن والظلم الذي وقع عليه زورا وبهتانا .

ان الفرار من السجن اجبره على الرحيل بعيدا عن ارض موطنه ((قرطبة)) وموطن هواه ، ومقر حبيبته التي يلج بذكرها مع شدة محنته ومصائب قلبه ، وقد قال ((غير أن الوطن محبوب ، والمنشأ مألوف ، واللبيب يحن الى وطنه ، حنين النجيب الى وطنه ، والكريم لا يجفو أرضا فيها قوابله ، ولا ينس بلدا فيه مراصفة...))[٢] وهنا يعيش الشاعر الغربة المكانية مع اتساع الأرض وترامي أطرافها ، لكنها سجن كبير ، لان الحدث قائم . البعد . عن الأهل والأحباب ، ولا يزال الظلم واقعاً ، ولا تزال السماء ملبدة بالغيوم .. بل زاد الليل حلكة في ذاته كثرة الأقوام ولومه على الفرار..

قرر ابن زيدون الفرار الى اشبيلية ، وقبل أن يصلها عرج على بطليوس، فطوى بها بضعة اشهر دامي القلب ، مشرد اللب ، وطالعه العيدان، فزاداه شجنا على أشجان ، وتذكر موطن لهوه ومرابع انسه بقرطبة، فهاجته الذكريات، وأرسل هذه الزفرات ((انة الطريد)) [١].

خليليَّ لافِطرٌ يسرٌّ ولا أضحَى ... فما حالُ من أمس مشوقا كما أضحى؟
لئنْ شاقَني (شرقُ العُقاب) فلم أزلْ ... أخصُّ بممحُوض الهَوَى ذلك السَّفحا

(١) الذخيرة : ابن بسام ، ج١ / ٣٤٤ .
(٢) م.ن : ج١ / ٣٤٥ .
(١) الديوان : ١٨٧ .

وما انفك جوفيُّ (الرُّصافةِ) مُشْعِري   دَواعِيَ ذكْرى تُعقبُ الأسفَ البرحا
ويهتاجُ (قَصرُ الفارسيِّ) صَبابةٌ   لقلبيَ، لا تألو زِنادَ الأسَى قَدْحا
وليس ذَميما عهدُ (مجلسِ ناصحٍ)   فأقبلُ في فرْطِ الوَلوع به نُصْحَا

تتحرك الأبيات في دائرة العذاب النفسي ، فلا عيد الفطر يسره، ولا عيد الأضحى يسعده، وكيف والشوق يؤرقه في المساء ويثيره في الصباح، والذكرى، تشعل بكيانه الحزن المبرح الضيق أما ذكريات (قصر الفارس) فتبعث في نفسه أشواقا لا تفتأ تقدح فيها زناد الأسى وتثير جذوة الأحزان .

لقد حشد النص مجموعة من الأمكنة (شرق العقان، الرصافة، قصر الفارس، مجلس ناصح...) وهذه الأمكنة مخزونة في ذاكرة الشاعر أظهرها بهذه الرؤية الإبداعية وهو بعيد عنها، في مكان جديد وحالة نفسية متأزمة وهي ((رؤية طموحة متوثبة لا ترتضي الجمود والسكون، ولا تقنع بالمكان الكائن على علاته، إنها تسحب ذلك المكان الى حيز الفعل، وتمارس إبداعها الخلاق على الأمكنة ... والإبداع في جوهره تمرد على هذه المستويات، وارتقاء بالواقع الى مستويات أخرى ، ابعد واخص عصية على التحديد ، فتبتكر أمكنة لا وجود لها على ارض الواقع ، وتغيب في الأمكنة الواقعية صورها الظاهرة، لتبرز فيها أبعاد جديدة خفية وغير متطوره .. تجعل الأمكنة مكتنزة بالدلالات في الشعر دون أن تضع في حساباتها قوانين الطبيعة واقيستها ، ومسافاتها ، وتضاريسها، لان لها قوانين واقيسة وحجوما ومساحات بحسابات خاصة))[٢] فالمكان . بناء على ذلك . ينطبع بالطابع النفسي الخاص للشاعر ، ويدخل كموكب نفسي فاعل، يتكون من اجتماع عدة عناصر تتلاحم بآصرة الذات ، مشكلة صورة المكان في المخيلة الشعرية المبدعة.[١]

إذ قال: [٢]

وأيامُ وصلٍ (بالعقيق) اقتَضيتُهُ   فإلاّ يكنْ ميعادُهُ العِيدَ فالفصْحَا

(٢) ((المكان والرؤية الابداعية)) ، د. نادية غازي العزاوي ، ص٣٧ (بحث).
(١) المكان ودلالاته في شعر السياب ، محمد طالب ،ص١٠.
(٢) الديوان : ١٨٨ .

وقال: (٣)

الأ هلْ إلى (الزَّهراءِ) أوبَـةُ نازحٍ   نَقَصـّى تَنائيها مَدامِعُه نزُحَا

وهكذا عاش الشاعر الأيام القليلة في بطليوس بين الم الشكوى ونيران الذكرى ومنها انطلق إلى اشبيلية، بلاط المعتمد بن عباد وقد لقى من الحفاوة والإكرام ما يجعله يأخذ مكانه الوزير المشير ولكن أحس الشاعر بضيق المكان وأخذت المدينة ((اشبيلية)) دلالة المكان غير الأليف لأنه يحس بالغربة وعدم الراحة على الرغم من معيشته المترفعة في كنف الخليفة الذي أعطاه السكينة والأمان. وقال فيه أروع الأشعار ومنها: (٤)

وأمنتُ عاديةَ العدا الأقْتالِ مُذْ   أعْصَمْتُ في أعلى يَفاع حماكا
جَهد المُقلِّ نصيحةٌ ممحوضـةٌ   أفَرَدْتَ مُهْديها فلا إشراكا (٥)
وثَنـاءَ مُحتفِلٍ كأنَّ ثنـاءهُ   مسكٌ بأردانِ المَحافِلِ صاكا (٦)
وَلْتدعُنِي وعُدُوك الشَّاني فإنْ   يَرُمِ القِراع يَجِد سِلاحيَ شاكا (٧)

وبهذه الألفاظ الرقيقة خاطب ابن زيدون المعتضد شاكرا له الفضل في إعطائه هذه المكانة الرفيعة، فأنا منذ لجأت إليك واحتميت بحماك أمنت ضراوة الأعداء المقاتلين وابسط ما أستطيع أن أقدمه لك أن ابذل أقصى جهدي المتواضع وان أقدم لك النصيحة الخاصة، وقد افردتني

بالاستشارة وجعلتني الناصح المفرد الأمين.

وفي البيت الثالث يؤكد الحدث في صورة معطرة بالمسك

كأنه ← المسك

(٣) م.ن والصفحة.
(٤) الديوان: ٤٩٩ ـ٥٠٠ ، عادية: طليعة المقاتلين ، الاقتال ، جمع قتل وهو العدو ، اعصمت: اضمنت ، البقاع: المكان المرتفع .
(٥) الجهد: الطاقة ، جهد المقل: اقصى ما يستطيعه المنعدم او الضعيف .
(٦) احتفل بالامر وحفل به: اهتم به اهتماما كبيرا ، الاردان :اكمام القميص اوثياب الخز ، صاك :لصق .
(٧) الشانئ: المبغض ، القراع: القتال ، شاك: ظهرت شوكته وحدته .

الثناء ←——— العطر

وفي البيت الرابع عمد إلى الاستبطان ضمن ثنائية ((الظاهر / الباطن)) فأراد أن يظهر للمعتضد استعداده لمعونته في مهاجمة عدوه المبغض اللدود والباطن يريد الانتقام لذاته التي لاقت من ابن جهور ما لاقته.

وعلى الرغم من هذه المكانة الرفيعة وهذا الامان في اشبيلية كان يعيش حالة التمزق فالشوق والحنين إلى قرطبة يعصفان بكيانه وعلى الرغم ومع ما في الرجوع إليها من مخاطر ومجازفة قد تكلفه حياته .. قرر المجئ إلى الزهراء متخفياً ، طامحا في أن يتصل بحبيبته لعله يسترد مكانه في قلبها وقد كتب قصيدته الشهيرة ((مجالي الزهراء))(١) التي حفلت بمشاعر صادقة ممزوجة بجمال الطبيعة الاندلسية.

قال:

إني ذكرتُكِ (بالزهراء) مُشْتاقَا

والأفْقُ طلقٌ ومرأى الأرضِ قد راقا

والزهراء . ذلك المكان الجميل . التي تعد آية من آيات العمارة والهندسية الفنية في العصور الوسطى لم تشغل بال الشاعر ولم تستطع أن تكون معادلاً موضوعياً لمن فارقهم في قرطبة، لذا كانت الذكرى هي بؤرة الإشعاع في المكان، وما كان جمال المكان هو الذي دفعه إلى هذا الأبداع الفني للنص..

(١) الديوان : ١٦٢ .

الفصل الثاني

تشكيل الدلالات المكانية

مدخل.

المبحث الأول : دلالة المرأة.

المبحث الثاني : دلالة الطبيعة.

مدخل

إن أيسر السبل في التعامل مع المكان، استعماله على وجه الحقيقة ولكن تعدد الرموز والدلالات الاشارية للمكان في العمل الأدبي الإبداعي جعل مصير بعض الادباء مجهولاً، حتى باتت وسائل غير مباشرة للأفصاح عن تجارب الأدباء، والتعبير عن معاناتهم في الابتعاد عن أماكن الفتهم في وطنهم والنزوح الى أماكن جديدة بدا مصيرهم فيها مظلما مجهولا تحيط به المخاطر ويكتنفه الغموض.

وتحيل الدلالة في التشكيل المكاني الى كم مادي عديم الشكل وسابق على التمفصل، ليحدد مفهوماً رئيساً في تصور العلاقات بين الحدود المنتجة للقيم المضمونية وتداولها، ويتعلق الأمر بـ ((السيرورة، فلا يمكن تصور ((كم معنوي)) خارج مدار سيروره تتمحور حول مفهوم العلاقة بأعتبارها الحد الأساس في إنتاج أي نشاط دلالي. وعلى هذا الأساس فإن مفهوم الدلالة مفهوم مركزي ينتظم حوله النشاط السميائي في مجمله. بل يمكن القول إن رصد شروط إنتاج الدلالة، هو رصد للظوابط الثقافية التي تشتغل كقوانين يتم استنادا إليها تأويل كل الوقائع))[1].

إن التشكيلات الدلالية تعني بالرموز والعلامات اللغوية وغير اللغوية، ولعل أكثر استعمالات الرمز شيوعا هي تلك التي تستند إلى صور تناظرية تربط بين وحدات مجردة وأخرى محسوسة، تنوب فيها الثانية عن الأولى وتقوم مقامها وفي هذه الحالة ينظر إلى الرمز بوصفه صورة دالة تستعمل للإحالة على مدلول يقابلها عن طريق العرف والتواضع.

إن الرمز، من هذه الزاوية، يشير إلى الدلالات التي يمكن أن تتسرب في غفلة منا إلى الكلمات والأشياء والطقوس والحركات. انه فعل يمنح الأشياء أبعادا تخرجها عن دائرة الوظيفية والاستعمال إلى ما يشكل عمقا دلاليا يحولها إلى رموز لحالات إنسانية وعلى وفق هذه السيرورة فأن كل شيء يمكن ان يصبح رمزا لحالة انسانية وعلى وفق شروط ثقافية بعينها، يكفي في ذلك ان نحدد الرابط الدلالي الذي يمكن

(١) معجم السيميئيات، سعيد بنكراد،((الانترنيت)).

من الانتقال من العنصر الرامز الى العنصر المرموز له[١]٠

ولما كان ابن زيدون، قد ترك الأهل والأحباب، والسلطة والجاه وعاش حياة التشرد والتخفي بعدما عانى من الاضطهاد في السجن خمس سنوات كل ذلك وثق عنده الدلالات والمعطيات المكانية، إذ إن الدلالة في العمل الأدبي لا تأتي من المعنى الاشاري للكلمات التي يتكون منها ذلك العمل، بل من التركيب على المستويات المختلفة[٢]٠

ولعل القراءة المتأنية الإشعاعية لديوان ابن زيدون كفيلة بتأشير الدلالات والمعطيات المكانية٠ من خلال دلالة المرأة ودلالة الطبيعة، فـ ((كلما ذكرت المرأة وفتنتها والطبيعة وروعتها والمتعة وصنوفها ذكر ابن زيدون))[٣].وهذا ماسنقف عنده في هذا الفصل، وقفة تأملية لما فيه من ابداع فني، رفع المكان عند ابن زيدون من الهيئة المادية الى التعبير الجمالي٠

(١) الرمز،المجالات،والدلالات،سعيد بنكراد٠ ((الانترنيت))

(٢) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،د. محمد فتوح احمد،ص١٣٧.

(٣) عصر ابن زيدون ،د٠ جمعة شيخة ،ص٧ ٠

المبحث الأول

دلالة المرأة

شكلت المرأة في حياة ابن زيدون جانبا مهما وملحوظا، فهي رمز للعطاء والحنان، وعالمها يضج بالسمر والجمال٠ وقد (وصف جمالها الفتان ومنزلتها السامية،ونوع وصفه بين مفاتن الجسد وإشعاع الروح فأن شخصها[١]٠

كما يقول: [٢]

رَبيبُ ملك، كأن اللّه أنشأهُ   مِسكا، وقدرَ إنشاءَ الورَى طِينا
أو صَاغَهُ ورقاً مَحضاً، وتوجهُ   من ناصع التبرِ إبداعًا وتحسينا
إذا تأودَ آدتْه رفاهيةً   تومُ العقودِ ، وأدْمَتهُ البُرَى لِينا

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر((يشفع حبّه لبيئته بحبه لمحبوبته، ويهيج في نفسه حبه لمحبوبته حبه لبيئته))[٣].

ثم اخذ يذكر الحبيبة بأيام وصالهما العذبة الجنى الحلوة المذاق لعلها تحن إليها فتستعيدها ولو بعد حين، وقد كتب لها بعد فراره من السجن قائلا: [٤]

إذ جانبُ العيشِ طلقٌ من تألفّنا   ومَربُع اللهْو صافٍ من تصافينا
وإذ هصَرْنا فنونَ الوَصْل دانيةً   قِطافها فجَنَينا منهُ ماشِينا
لِيسُقَ عَهْدكُمُ عَهْدُ السَّرورِ فما   كنتمْ لأرواحنا إلا رياحينا

إن محنة السجن والخوف والتخفي جعل ابن زيدون ينظر إلى المرأة ((ولادة)) نظرة جديدة ترضي غرورها وكبرياء أنوثتها لأن ولادة كانت محتاجة إلى شخص اقل من مستواها العقلي..... وكان ابن زيدون قد جعل مواهبها تبدو تافهة وضئيلة أمام مواهبه الجبارة [٥] ولكن ولادة التي كانت متيمة به في بعض حقب حياتها[١]٠

---

(١) ابن زيدون عصره وحياته وادبه ،علي عبد العظيم ،ص٣٦٥ ٠

(٢) الديوان: ١٧٠ ٠

(٣) الوطن في الادب العربي،ابراهيم الانباري،ص٢٧ ٠

(٤) الديوان :١٦٩.

(٥) ينظر:ابن زيدون عصره وحياته وادبه ، علي عبد العظيم ، ص١٧١ ٠

(١) حلبة الكميت : شمس الدين محمد بن الحسن النواجي ،ص٩٤ ٠

استطاعت أن تسترد حريتها وتهيمن على عواطفها انتقاما لكرامتها، بعدما وقعت القطيعة وانقطع حبل الوصل بينهما بسبب حقد الحاقدين .

ومن هنا أخذت المرأة/المكان دلالة خاصة في شعر ابن زيدون فهي الوطن الذي فقده والأمل الذي عجز عن تحقيقه، فكانت ولادة ((قرطبة، والزهراء، واشبيلة...)) وهي كل جزء من ارض الأندلس التي لا يستطيع العيش به لأنه مطارد، مطلوب للعدالة، ظلما قال: (٢)

إنَّ للأرضِ والسماءِ وللْمَا ... ءِ علينا أذِمـّة ٌ لا تـذمَّ

هِيَ بَعْضُ اسْمِ مَنْ أحِبُّ وِلاء ... وبتكرير بَعْضِها يستتِمَّ

وقد مثلت المرأة / الحبيبة في شعر ابن زيدون منفذا من منافذ السوائح النفسية يلجأ إليها الشاعر فيتخذ منها ملاذا آمنا إذا ما أشقاه البعاد واخافه الأعداء.

إذ يقول: (٣)

يامَنْ غَدَوْتُ به . في الناسِ مُشتهَرا ... قلبي عليكَ يُقاسي الهَم والفِكرا

إنْ غِبتَ لمْ ألقَ إنسانَا يُؤنَسُني ... وإنْ حَضَرْتَ فكلُّ الناس قدْ حَضَرا

وقال: (٤)

سأحتبُّ أعْدائي لأنكَ مِنْهُمُ ... يا مَنْ يُصحُ، بمُقلتيْهِ ويُسْقِمُ

اصبَحتَ تُسخطُني فأمْنَحُكَ الرَّضَى ... ـ مَحْضا ـ وتظلمُني فلا أتظلمُ.

يامَنْ تألفَ ليْلُهُ ونهارهُ، ... فالحُسْنُ بينَهما مُضِيءُ مُظلِمُ

قد كان في شكوى الصُبابَةِ راحَةً ... لو أنني أشكو إلى مَن يْرحَمُ

لعل القراءة المتأنية للنص تظهر معاناة ابن زيدون الذاتية وتكشف عن تأرجح

(٢)الديوان:١٤٧، الاذمة:جمع ذمام وهو العهد – ولاء : تتابعا ٠

(٣) الديوان :٢١٢.

(٤) الديوان :٢٣٢.

النفس المعذبة بين طرفي ثنائية ((الفشل بالحب/الفشل بالسياسة)) لان ابن زيدون وصل إلى القمة بسرعة في دولة بني جهور. وكل من يعلو تتجه إليه الأنظار من الحاقدين والمناوئين،ولاسيما وهو قد جمع بين الشباب الجمال والجاه والمال والموهبة ٠٠ وارتبطت حياته العاطفية بولادة، مما جعل مكانته في قلبها وقصرها وفي مجالسها وندواتها تكون هي العليا[١]٠ وقد سعى منافسوه في الحب والسياسة للكيد له وجعله محل ريبة وشك في نظر أبي الحزم وفي نظر الحبيبة ((ولادة)).

وقد أخذت المرأة هنا دلالة الحبيبة الجافية ودلالة الفشل في إرضاء الخليفة[٢].

والمرأة الحبيبة في شعر ابن زيدون هي الطبيعة وجمالها والأرض وصلابتها والوطن وكرامته وهي التي ((حملت في كل أبعاد جسدها وكينونتها دفئ الحياة))[٣]، فيقول: [٤]

لَمّا اتصلْتِ اتصالَ الخلْبِ بالكَبِدِ   ثم امتزَجْتِ امْتِزاجَ الرُّوح بالجَسَدِ
ساءَ الوُشاةَ مكاني منكِ، واتقَدَتْ   ـ في صَدْرِ كلّ عدُوًّ ـ جَمْرَةُ الحَسدِ
فليسْخَط الناسُ لا أهْدِ الرِّضى لهُم   ولا يَضِعْ لكِ عهْدُ اخِرَ الأبدِ
لو اسْتَطِعْتُ ـ إذا ما كنتِ غائبةً ـ   غَضَضْتُ طرْفي، فلمْ أنظرْ إلى أحَدِ

ففي هذا النص نرى الشاعر يعمق الدلالة الرمزية للمكان ويجعله بؤرة إشعاع من خلال ماجسدته المرأة / المكان في حياته بعدما

اتصلت به ———← اتصال الخلب بالكبد = حب ثابت

مكاني منك

---

(١) ينظر:عصر ابن زيدون ،د٠ جمعه شيخه ، ص٢١٢ ٠
(٢) ينظر : وجهة نظر في حب ولادة ،د. هناء جواد ،٢٠٠٥(بحث).
(٣) المرأة الانموذج في الرواية العربية الحديثة ، شمس الدين موسى ، ص٧٩-٧٠ ٠
(٤)الديوان:٢٠٣، الخلب: حجاب رقيق للكبد ، او شيئ ابيض رقيق لازق بها .

امتزجت ←——— أمتزاج الروح بالجسد = حب ثابت

ومـن هـذه المكانــة التــي تحمــل الدلالــة الرمزيــة لكـل الأحـداث السياسـية والاجتماعيـة التـي مـر بهـا الشـاعر تتضـح صـورة الوشـاة والحاسـدين، وقـد أبـدع ابـن زيـدون فـي تعميـق الدلالـة الرمزيـة للمـرأة بأتخـاذ عبـارة ((مكـاني منـك)) بـؤرة إشـعاع تتوسط ظلمـة أفعال الوشـاة والأعداء الحاسـدين((وان تعلق الشاعر بولادة قد خلق لـه خصـوما أقويـاء وكـان مـن العوامـل القويـة فـي دخولـه السـجن ثـم فـي هجرتـه إلـى اشبيلية))[1].

قال: [2]

رَمَتْني اللَّيالي عنْ قسيَّ النوائبِ
فما اخطأتني مرسَلات المصائبِ
اقضيِّ نهاري بالامان الكواذبِ
وآوي الى ليلٍ بطئ الكواكب   وابْطأ سَار ٍكوكبُ باتَ يُكْلأ[3]

إن التجربة الجمالية التي اعتمدها ابن زيدون في بنائه الفني قائمة على أساس امتزاج((المكـان والزمـان والمـرأة)) مزجـا فنيـا٠ فكـان شـعره صـورة معبـرة عن الـذات المعذبة التي أصابها الدهر بسهامه ورماها بشتى صنوف المصائب.

لقـد جسـدت ((المـرأة / المكـان)) و((المـرأة / الزمـان)) فـي شـعر ابـن زيـدون الدلالـة الرمزيـة لصـورة الوطن والمدينـة ((قرطبـة)) التـي غادرهـا مجبرا متخفيا مطـاردا٠ وهنا يمكننا أن نقف عند قصيدة ((زفرة الشريد)) وهـي أرجوزة متكونـة من (٤٢) شطر كتبهـا أثنـاء لجوئـه إلـى بطليوس قاعدة ملـك بنـي الأفطـس وتقـع علـى نهـر آنـة فـي

(١) ابن زيدون عصره وحياته وادبه،علي عبد العظيم ،ص١٣٨ ٠
(٢) الديوان : ١٥٦.
(٣) كلأ الكواكب : رعاه واطال مراقبته.

الشمال الغربي من قرطبة وكلها الم وحزن لفراق الأهل والأحبة والوطن قال: [(١)]

يا دمُع صُبْ ما شِئتَ أن تَصُوبـا

ويـا فـؤادي آنَ أنْ تـذوبــا

إذِ الرزايـا أصبـحـت ضُروبـا

لم أرَ لـي ـ في أهلها ـ ضَريـا

قد مـلأ الشـوقُ الحَشـا نُدوبـا

فـي الغَرْبِ إذ رحـتُ بـه غَريبا

عَليـلَ دَهْر ٍسامَـنـي تعذيبـا

أدنـى الضّنَى اذ ابْعَدَ الطّبيـبـا

إن الرصد الإبداعي للحركة الصادرة عن المكان، التحول من قرطبة إلى بطليوس، اخذ دورا مهما في الإيحاء بصور المكان والدلالة على الجو النفسي المميز له٠

أي:

ملأ الشوق الحشا= ندوبا ←في الغرب ←غريبا.

ويرسم الشاعر في نصه السرد السلبي الذي اعتادت أن تقوم به الشخصية المغتربة وهو كامن في ظاهرة الغياب والفقدان ((فقدان الأهل، والمركز السياسي، والحبيبة، وفقدان الأمل والمكان...)) فنثالت المشاعر المحتدمة في نفس الشاعر لتسفر عن ألمه وحزنه ومعاناته. ((والإنسان منذ بدأ يضرب في الأرض قد حمل بين جوانحه ضروبا من الإحساس بالاغتراب حتى لقد تلونت قطاعات عريضة من أدبه بعد ذلك بهذا الإحساس))[(١)]فالعديد من الشعراء مروا بمواقف الانفصال التي يشعرها الفرد،لان مشاعر الغربة تظهر من هذه الحالة فقط، ويشعر الشاعر((بوجود هوة بينه

---

(١) الديوان: ١٨٤.

(١) الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث ، ص٦٧ ٠

وبينها فتثير قلقه وارتيابه أو اشمئزازه أو لا مبالاته أو تمرده ٠٠الخ))[٢].

وإذا كانت لفظة ((غريبا))هي بؤرة الإشعاع في النص فأن ما سبقها وما لحق بها ممزوج بها.

ثم يواصل وصفه للطبيعة التي تحمل دلالات رمزية كثيرة في ذاتهاويطلق صرخة منبثقة من أعماق النفس المعذبة قائلا : [٣]

يا مُنبعا أسادهُ التأويبا

مشرّقا قد سَئم التغريبا

أما سَمِعْتَ المَثلَ المَضْروبا

((أرسل حكيما ، واستَشِرْ لبيبا))

ثم يقول: [٤]

إن قرّتِ العينُ بأنْ أؤوبا

لمْ الُ أنْ استرْضَي الغَضُوبا

حَسْبي أنْ احرَّمَ المَغيبا

قدْ ينفعُ المُذِنبَ أنْ يَتوُبا

تتحرك الأبيات في النص داخل إطار الصورة الفنية التي رسمها ابن زيدون للذات المغتربة فالصورة المرسومة تشكيل مكاني بصفة أساسية، وقد يوحي هذا التشكيل بالزمان ٠٠فليس من الصعب على الرسام أن يحسم الحركة ٠٠ وعندئذ، يمكن أن يقال انه لا فرق بين الصورة اللغوية الزمانية المكانية في طبيعتها، وبين الصورة المرسومة وبها اثبت الشاعر التجربة الذاتية التي عاشها، لان العمل الأدبي

---

(٢) الاغتراب في الشعر العباسي ، ص٦٧ ٠

(٣) الديوان: ١٨٥ .

(٤) الديوان:١٨٦. أووب: اعود، ويعني الرجوع الى قرطبة.

كما يرى د٠عبد المحسن طه بدر يتكون من ثلاثة عناصر ((اولها الذات المبدعة، وثانيها صور الحياة التي يطرحها الواقع امام الاديب فهي الاطار الاجتماعي الذي يعايشه سواء أكانت هذه الصور مطروحة أمامه بالممارسة أو مكتسبة من التراث الثقافي المتاح في بيئة الأديب، أما العنصر الثالث فهو الذي يحدد العلاقة بين الذات والموضوع وهو الذي يتحكم في اختيار الأديب لموضوع من الموضوعات التي يطرحها عليها الواقع دون غيره من الموضوعات، كما يتحكم في اختيار للزاوية التي يعالجه منها، وهذا العنصر الثالث الذي يمثل طبيعة العلاقة بين الذات والموضوع ويحكمها يمكن أن تسميه موقف الأديب من الواقع ولأن لفظ موقف قد يحدث نوعا من الالتباس بين موقف الأديب، وما يسمى (بوجهة نظر المفكر) فستختار لهذا العنصر الثالث مصطلح (الرؤية) المعنى اللغوي لا المعنى المادي))(١).

وقد تجسدت هذه العناصر في الصور الشعرية التي أثبتها ابن زيدون في نصه، والتي أثبتت قدرته الإبداعية في نتاجه الفني. لان الصورة الشعرية هي((أعلى ما يرشح الشاعر للمجد، لان الشعر ربما يكون بها إلى جانب الإيقاع الموسيقي،إذ بها تتحقق خاصية الشعر، وهي انه يحيل المعاني المجردة الى امتثالات عينية تنفصل بها الحواس انفصالا لذيذا))(٢).

والصور الشعرية هنا متلاحمة ومتجانسة مع بقية الصور الأخرى التي تشكل في مجموعها ما يسمى((بتناغم الانطباع))(٣). والذي تكون من انسجام هذه الصور وتطابقها النمطي الناتج عن التنسيق الموفق بين التجربة التي عاشها ابن زيدون في((قرطبة)) وبين الصور التي تضمنت تلك التجربة واختزنتها.

لعلنا مما سبق أدركنا ما أوحى به المكان للشاعر ابن زيدون، فقد كان بمثابة المرآة العاكسة لصورة المرأة((ولادة)) ولحياته الماضية التي قضاها بجوارها، فكل

---

(١) الروائي والارض ، د٠ عبد المحسن طه ،ص٥.

(٢) في الشعر الاوربي المعاصر،د٠ عبد الرحمن بدوي ،ص٧٢ ٠

(٣) فن الادب ـ المحاكاة، د٠سهير القلماوي،ص١٠٨.

مكان يمر به تتمرأى له حبيبته التي تمثل له موطن الرحمة[1] وكانت هي المكان والزمان وهي ((المتنفس عن أحزانه وهمومه ومحنته،وذكرها وسيلة للحديث عن عواطفه واحساساته،وهي سلوته وراحة نفسه[2] المغتربة التي تعاني التمزق الروحي بين ثنائية ((الزمان / المكان)).

وفي وحشة الوحدة، وألم الفراق وهو يجتاح الأرض غريبا يصدعه الخذلان فيرى نفسه وحيدا ليس له مؤنس ولاجاه،أين المجد وعلوَّ الشأن؟ أين مجالس السيادة والأدب ؟ أين الحبيب الوفي ؟ أين الصديق ؟ إذن ليس له مكان ولاجاه !! فر من سجنه بقرطبة الى اشبيلية[3]، ولكن قلبه جذبه الى حبيبته بقرطبة فأرسل إليها نونيته الشهيرة، التي ثارت حولها الأساطير حتى قيل: ((ما حفظها احد إلا مات غريبا))[4] التي جسدت التداخل الزمكاني مع المرأة فكانت هي مصدر ((السعادة،والشقاء))، و((الحياة والموت))، و((الأمل واليأس))، و((الفرح والحزن)) وهي ((الطبيعة وجمالها))، و((الزمان وغدره)) إنها الوجود كله، وغيابها يعني العدم[5] وبين ((العدم والوجود)) عاش ابن زيدون غريبا، إذ يقول: [6]

أضحى التْنائي بديلاً من تَدانينا	ونابَ عن طيب لِقيانا تجافينا
إلا– وقد حانَ صبحُ البَيْن – صَبَّحنا	حَيْنٌ ، فقام بنا لِلحينْ داعينا[1]
من مُبلغ المُبلسينا بأنتزاحِهِمُ	حُزنا معَ الدهرِ لا يبلى ، ويُبلينا
أنْ الزمَّان الذي مازال يُضحكنا	إنسـاً بقربهمُ قد عاد يُبكينا؟
غيظَ العدا من تَساقينا الهَوى، فَدَعوْا	بأنْ نَغَصَّ، فقالَ الدهرُ: آمينا

(١) ينظر: صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج، هيا محمد عبد العزيز الدرهم، ص٨٤.
(٢) الغربة في الشعر الاسلامي (من عصر الرسالة المحمدية الى نهاية الخلافة الراشدية ،زينب كامل عبد المحسن، ص١٠٩ .
(٣) ينظر: ابن زيدون عصره وحياته وادبه ، علي عبد العظيم ،ص١٣٨ .
(٤) ينظر:في الادب الاندلسي ،د٠ جودت الركابي ،ص١٦٧-١٧٧ .
(٥) وجهة نظر في حب ولادة ، د٠ هناء جواد ، ص١٦٣ (بحث).
(٦) الديوان : ١٦٧ أي ان الفراق حل محل الوصال وان الجفوة نابت عن طيب اللقاء.
(١) ألا : هلا ، الحين :الهلاك،والمعنى:انه كان يتمنى ان يلاقي مصرعه قبل ان يحل الفراق.

فأنحلَّ ماكانَ معقوداً بانفسنا   وأنبتَّ ماكان مَوْصولاً بأيدينا[٢]
وقد نكونُ ، وما يُخْشَى تَفَرُّقُنا   فاليومَ نحنُ ، وما يُرْجَى تلاقينا

القصيدة تتكون من خمسين بيتا وتكاد تكون وحدة شعرية لا يخرج فيها الشاعر عن دائرة الامتزاج بين الأطراف الثلاثة لتجربته الإبداعية((المرأة،الزمان،المكان)) ويرى الأستاذ كامل الكيلاني، إن ميزة ابن زيدون التي تكاد تفرده من شعراء العربية هي الفن... الفن وحده هو الذي اكسب ابن زيدون زعامة الشعر في عصره،وأغرى فحول الشعراء في زمنه وبعد زمنه بمحاكاته والانضواء تحت رايته[٣].

اما الاستاذ الدكتور صلاح جرار فيرى انها مجموعة من الوحدات المترابطة تمثل الحالات الشعورية التي انتابت الشاعر وهو يكتبها ومطلعها.. هو اعلان نعي لزمن وصله بولادة اذ حلّ التنائي محل التداني وحل التجافي محل طيب اللقيا وكأنه في هذا البيت يختصر لنا اخر مالت اليه علاقته مع ولادة [٤]

يبدأ ابن زيدون نصه بتشكيل مجموعة ثنائيات أساسية هي: ((التنائي/التداني)) و((لقيانا/تجافينا)) ((لا يبلى/يبلينا)) ((يضحكنا/يبكينا)) ((تفرقنا/تلاقينا)) وساد بين أطراف هذه الثنائيات علاقة بعد ((مكاني/زماني)) أفصح عنها في البيت الأول من خلال العلاقة الضدية بين ما تمنى وما حصل وتقوم هذه الثنائيات الضدية والمقابلات، في الاصل على رصد التحولات التي طرأت على العلاقة بين ابن زيدون وولادة، والاثار التي تركتها هذه التحولات على كل منهما وعلى صورة العلاقة بينهما، وقد اشتملت هذه القصيدة على مفردات كثيرة توحي بعمق هذا التحول وسعته، مثل كلمتي (بديلا) و(ناب) في البيت الاول.

أما في البيت الثاني فيتمنى ابن زيدون لو انه نعي الى الناس بدلا من أن

---

(٢) انبت : انقطع ، والمعنى تفرق شملنا وانقطعت صلاتنا.
(٣) مقدمة الديوان:كامل كيلاني
-وينظر: نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ،كامل كيلاني
(٤) قراءات في الشعر الاندلسي ،أ.د صلاح جرار ، ص٦٧.

يُنعى حبّه، ويفضل الموت على الفراق .

ثم يبحث عّمن يحمل رسالة الى ولادة يبلغها أنه منذ فارقها مازال مقيما على البكاء بدلا من الضحك الذي كانا عليه قبل الفراق .

ومن الادوات التي اتكأ عليها الشاعر في البيتين الاخريين للتعبير عن شكواه الشديدة من التحول الذي طرأ على علاقته بولادة استخدام الفعل كإن ومشتقاتها- ثلاث مرات رغبة منه في التمسك بالحال التي كان عليها في الماضي...[١]

إن هذه القصيدة جمعت بين أفانين شتى من الإجادة وعبرت عن عاطفة الشاعر الصادقة،وتكاد تكون وحدة شعرية لا يخرج فيها الشاعر عن دائرة قلبه المحطم، وهي وصف لحال الحاضر، ووصف للماضي والمناجاة وإشراك الطبيعة في إحساسه ووصف المحبوبة، ومقارنة الحاضر المقيم بالماضي الفل وتأكيد للوفاء وينتهي إلى الاستعطاف والاستسلام [٢].

ويبدو إن تعدد الموضوعات في النونية يدل على بنائية الشعر العربي لأن ((الأبيات جميعها والموضوعات كلها تتناغم وتتواءم في دائرة جمالية واحدة))[٣]

إذ يقول: [١]

يا لَيتَ شعِْري – ولمْ نُعْتِبْ أعادِيَكُمْ .	هلْ نالَ حظاً من العُتبى أعادينا
لمْ نَعتَقِدْ بَعْدكُمْ ألا الوفاءَ – لكمْ	رأياً ، ولم نتقلدْ غيرهُ دِينا
ما حقُّنا أنْ تُقرُّوا عَيْنَ ذي حَسَدٍ	بنا، ولا أنْ تسُرُّوا كاشحاً فِينا[٢]

---

(١) ينظر: قراءات في الشعر الاندلسي ، د. صلاح جرار، ص٧٣.
(٢) ينظر:في الادب الأندلسي، جودت الركابي،ص٢١٢.
(٣) في النقد الجمالي،ص١٩١ .
(١) الديوان :١٦٨ اعتب :ارض وسر بعد الاساءة والاسم منه العتبى.
(٢) الكاشح : المضمر للعداوة.

كُنّا نَرَى اليَأْسَ تُسْلينا عَوارضُهُ   وقدْ يئسْنا ، فما لِليأسِ يُغْرينا[٣]
بِنْتُمْ وبِنّا ، فما ابْتلَّتْ جَوانِحُنا   شَوْقاً إليكمْ، ولا جَفّتْ مآقينا [٤]
نكادُ – حينُ تُناجيكمْ ضمائرُنا   يَقضِي علينا الأسَى ، لولا تأسِّينا[٥]
حالتْ لِفقدِكُمُ أيامنا ، فغَدَتْ   سُوداً، وكانت بكم بيضًا ليالينا

توحي تمظهرات الضمائر في النص الى طاقات تتسم بالقدرة على الطعن. ضمن حركة طرفي ثنائية((الشاعر/المرأة)) وبينهما ((الأعداء)) الذين سلبوا منه السلطة والحبيبة٠٠وأي أعداء هؤلاء؟! وهذا الحضور للمرأة والرجل والأعداء مثل صورة ((أنا)) وهي الشاعرة وهي صورة ((انتم)) المخاطبة بصيغة الجمع. ((أعاديكم)) ((أعادينا)) ((بعدكم)) ((لكم)) ((حقنا)) ((تفروا)) ((تسروا)) ((بنا)) ((فينا)) ((تسلينا)) ((يئسنا)) ((يغرينا)) ((جوانحنا)) ((إليكم)) ((مافينا)) ((تناجيكم)) ((ضمائرنا)) ((علينا)) ((تاسينا)) ((لفقدكم)) ((أيامنا)) ((بكم)) ((ليالينا)).

إن هذه الضمائر المتصلة مرة بالأفعال وأخرى بالأسماء أو الحروف تسيطر على حركية النص.

وهي رمز للخصوبة وديمومة الحياة[١] وهي رمز للسعادة والشقاء[٢] فهي رحمة وعذاب في آن واحد، انها مركز عذاب الشاعر وهي تحمل دلالة الشمس[٣] ونتلمس فيها حاجات المجتمع، ومثله العليا وقيمه وطموحاته[٤].

(٣) عوارضه :ظواهره أو بوادره ، والمعنى انه كان ينتظر راحة في اليأس ولكن يأسه زاده شوقا على شوق وحنينا الى حنين.
(٤) بنتم وبنا ، بعدتم وبعدنا.
(٥) المعنى: إذا ناجتكم قلوبنا ـ على البعادـ
عصفت بنا الاخران وكادت تقضي علينا لولا تعللنا بالامال.

(١) ينظر: المرأة في شريعة حمورابي ،ص١٧ . وينظر:المرأة عبر التاريخ د٠ عبد اللطيف القصاب.
(٢) شعر الحب في العصر الاموي د٠ هناء جواد، ص١٥ .
(٣) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي ، نصرت عبد الرحمن ،ص١٢٣ .
(٤) ينظر: في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي ، د. احمد محمود خليل، ص٢٨٣.
(٥) اصول النقد الادبي ، احمد الشايب ، ص٢٤٩ .

لقد تحول الضميران((الكاف/النون)) سواء بالشكل الحر ((الضمير الغائب)) الذي مثل ((ولادة)) أو بالشكل المصاحب المشارك ((الضمير المتصل))الذي مثل الشاعر،الى شخصيتين مركزتين منتجتين للصور الشعرية التي عبرت عن روحه وأحاسيسه فهي ((العبارة الخارجية للحالة الداخلية))[٥] وهي ((تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها))[٦] ففي النص صورة ((الآخر)) ولادة هي مركز الإنتاج مولدة الحركة الشعرية داخل اطر الصور لأنها ((الذات))

لقد نجح الشاعر في نقل أحاسيسه ومشاعره الى لوحة فنية مشبعة بالفكرة المنبثقة من الذات المتحدة بالموضوع، وبما إن ((الصورة الفنية تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها الى عالم الفكرة أكثر من انتمائها الى عالم الواقع))[٧] نرى الشاعر حول الأفكار الى صور حية تنبض بالحياة،وعبر من خلالها عن حزنه وانين قلبه وقلق نفسه المغتربة٠٠

وبعد اثنين وعشرين بيتاً في إشراك الطبيعة للذات المغتربة[٨]يعود الى المناجاة بلحن حزين وثبوت عاطفة وصدق مشاعر. وحنين جارف الى العهد السابق. فيقول ابن زيدون: [١]

أن كان قد عَزَّ في الدنَّيا اللِّقاءُ ففي   مَواقِفِ الحَشْر نلقاكمْ ، ويكفينا
كأننا لم نَبتْ، والوَصْلُ ثالثُنا   والسَّعدُ قد غَضَّ من أجفانِ واشينا
سرَّان في خاطر الظَّلْماءِ يَكْتمُنا   حتّى يكادَ لسانُ الصُّبْح يُفْشينا
لا غَرْوَ فى أنْ ذكَرْنا الحُزنَ حين نَهَتْ   عنهُ النُّهَى، وتركنا الصَّبْرَ ناسينا

(٦) الصور البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ـ منهجا وتطبيقا، احمد علي دهمان، ٣٧٦/١.
(٧) التفسير النفسي للأدب، عز الدين اسماعيل، ص٦٦.
(٨) هذا ما سنقف عنده في المبحث الثاني.

(١) الديوان:١٧٢.

إنّا قرأنا الأسـى يوم النّوى سُوَراً	مكتـوبةً وأخذنا الصَّبْرَ تلقينـا
أمَّا هواكِ فلم نَعْدِلْ بمَنْهَلِـهِ	شِرْبـاً، وإن كان يُروينا فيظمِينا[٢]
لم نَجْفُ أُفْقَ جَمَالٍ أنتِ كوكبـهُ	سَالينَ عنهُ، ولم نَهْجـُرْهُ قالِيـنا[٣]
ولا اختيـاراً تَجَنّبْنـاهُ عن كَثَبٍ	لكن عَدَتنا - على كُرْهٍ - عَواديـنا[٤]

ومن التحام الشاعر مع الذات في حضور ((الآخر)) – ولادة – على امتداد القصيدة نجد التحرك يتجه الى المستقبل المحطم ((يوم الحشر)) وهو يحمل صورة اليأس من تحقيق الأمل في الحياة الدنيا.

أي:

الدنيا ←———— فراق = حقيقة ———— فشل

الحشر ←———— لقاء = أمنيات ———— فشل

ومن هذا الفشل كانت الانطلاقة للتعبير عن التجربة الذاتية فقد كان ابن زيدون يعرف جيدا ماذا يريد أن يقول فقد كان مستوعبا استيعابا تاما وعميقا لذلك صب اهتمامه الفني على الدلالات النفسية للصور ((من خلال عدّها وسيلة للتعبير عن التجربة الذاتية، وفي نقل فكرته وعاطفته معا الى قرائه أو سامعيه))[٥]

((كأننا لم نبت)) ← ((الشاعر/الحبيبة)) + الوصل = ثلاث وقد نجح ((السعد)) في إغماض أجفان الوشاة ((والسعد قد غضى من أجفان واشينا)) وقد أبدع الشاعر في رسم الصورة الفنية من خلال ((التعبير عن التجربة على هيئة صور ذهنية))[١] لأن الصورة الشعرية((هي كل تعبير انفعالي غير مباشر ولا حرفي))[٢].
وهكذا نستطيع أن نقرر إن الأبيات عبارة عن وثيقة عهد مملوءة بالنوستالجيا تبدأ من

---

(٢) اننا نفضل منهاكم على أي منهل اخر،وان كان يزيدنا عطشا كلما ازددنا منه شربا .

(٣) قالين :كارهين.

(٤) كثب:قرب والمعنى:انه اضطر الى فراقها مرغما على قرب دارها منه .

(٥) اصول النقد الادبي ،د. احمد الشايب ، ص٣٤٢ .

(١) مقدمة لدراسة الصورة الفنية،نعيم اليافي،ص٧٤ .

(٢) تطور الصورة الفنية في الشعر الحديث،نعيم اليافي،ص٢٨٨.

ركيزة قوية تكمن في أعماق النفس.

فجاءت لفظة((أهواك)) نقطة البداية، لان لكل عمل إبداعي نقطة انطلاق وهذه النقطة يمكن اعتبارها العمق . الذات التي تحتوي الفكرة في الدائرة[٣] و(ترتبط الدائرة بنقطتها) كما يقول ابن عربي ((ولابد في كل خيال من نواة الحقيقة ٠٠ ولابد في زجاجة كل مجاز من سراج الحقيقة))[٤] ومن هنا يمكن القول إن ((المرأة)) وحبها هي نواة الحقيقة، ومن دلالتها كانت الانطلاقة الفنية الإبداعية في شعر ابن زيدون.

لأن الجمال الفني ماهو إلا إشباع لرغبات مكبوتة، ويمكن أن نعده حلم الفنان[٥] فالفن يتحول إلى تعبير جمالي((لأن الأمور التي تضفي عليها تعابير جمالية ليست في الحقيقة سوى مميزات حلمية))[٦]

اعتمد النص على الحركة منذ البدأ من خلال شبكة من العلاقات التوافقية وغير التوافقية أبرزها.

١- اللقاء ← في الدنيا ← نفي

اللقاء ← في الحشر ← إثبات

اللقاء ← في الماضي ← إثبات

اللقاء ← في الحاضر ← نفي

٢- الصبر ← إثبات + إثبات

٣- الهوى ← إثبات + إثبات

٤- الجمال ← إثبات + إثبات

(٣) جدل الحب والحزن في شعر الخنساء(بحث)،د٠ هناء جواد .
(٤) اشارات الاعجاز،ص ١٥٠.
(٥) في النقد الادبي، د٠ شوقي ضيف،ص٨٢-٨٣.
(٦) التحليل النفسي والفن٠ د٠ اي٠ شنايدر،ص٧٤-٧٥ .

والنتيجة هي التحرك نحو الماضي من خلال الذكرى لإثبات بقاء الحب وديمومته على الرغم من البعد الزماني والمكاني ضمن إطار ثنائية((الثابت/المتحول)).

ويستمر الشاعر في رسم صورة الذات المعذبة من خلال الصور الإيحائية التي ضمها النص الشعري الثري فهو ((يتضمن في داخله لغة داخل اللغة، أو لغة استنباطية، وأن الأصوات العلائقية ترتفع فيها النبرة الشعرية ضمن احتفالية الأسرار، ويقوم كل نص شعري ثري على العلاقات الإيحائية التي يتعذر على المترجم التقاطها))(١).

وهذه ابرز ميزة فنية في شعر ابن زيدون فهو يعطي للمتلقي صوراً إيحائية ذات دلالات رمزية، كما يرى((ميرث)) إن شيئا ما يقف بدلا عن شيء آخر، أو يحل محله أو يمثله بحيث تكون ((العلاقة)) بين الاثنين: علاقة الملموس/المشخص العياني/بالمجرد أو علاقة الخاص بالعام. وذلك: على اعتبار إن (الرمز) هو شيء له (وجود) حقيقي مشخص لكنه يرمز الى فكرة أو معنى (مجرد)(٢).

وهكذا يواصل ابن زيدون رحلته الفنية فيصل الى السبعة أبيات الأخيرة،وفيها يحس المتلقي إن الشاعر يلهث من كثرة المعاناة وشدة الالام.ويرى د.جودت الركابي ((إن الخاتمة منطقية فيها نوع من الهدوء وكثير من الاستسلام،وفيها تأكيد دائم على الوفاء يطلبه ممن أحب كما يطلبه من نفسه،بل لعله لا يستطيع التخلي عن هذا الوفاء في الحب لأنه سبب من أسباب بقائه. فليقنع بالقليل إذن، وليودعها وفي نفسه ذلة وانكسار وفي الجو الذي خلقه ارتجاف وحسرة ورنين))(١)، ولكننا لانجد في هذه الأبيات الاصرخة عارمة في أعماق ذات معذبة تعاني التمزق بسبب فراق الأهل والأحباب وفقدان السلطة والجاه.

---

(١) مجلة الموقف الادبي،مقال بعنوان(هجرة النصوص وجماليات القراءة والتلقي) د. خليل الموسى ، ص٣٢

(٢) تخصيب النص،محمد الجزائري،ص١١٠

(١) في الادب الاندلسي،د. جودت الركابي،ص٢١٤.

إذ يقول: (٢)

دُومِي على العَهْدِ ما دُمنَا . مُحافِظَةً فالحُرُّ مَنْ دَانَ إنصافاً، كمَا دِيَنَا
فما اسْتعَضْنا خليلاً منكِ يَحْبسُنا ولا اسْتفَدْنا حبيباً عنكِ يَثْنِينا
ولوْ صَبَا نحَونا من عُلْوِ مَطْلَعِهِ بدرُ الدُّجَى لَمْ يَكنْ ـ حَاشَاكِ ـ يُصْبِينا(٣)
أَوْلِي وَفاءً – وإن لم تبذلي صلة فالطيف يقنعنا، والذكر يكفينا
وفي الجواب متاعٌ إن شفَعتِ به بيضَ الأيادي التي مازِلتِ تولِينا
عليكِ منَّا سَلامُ الله ما بَقيتْ صَبابةٌ بِكِ نُخفيها فتخفينا

تتحرك الأبيات في دائرة ((البعد المكاني)) الذي يدور الشاعر في فلكه منذ مغادرة ارض قرطبة، التي ترك فيها كيانه ووجوده، فأن ((تشكيل العلاقة الجدلية بين الإنسان والمكان الذي يحيا فيه من خلال عملية التأثر والتأثير وعلاقتهما بالإنسان الذي يعد جزءا منه، يجري عليه ويؤثر فيه كل ما يحدث في المكان))(٤).

والبعد المكاني عند ابن زيدون مبعث الحنين والحسرات والآهات ومحرك للشعور، وما الشوق الى المرأة ((ولادة)) إلا حنين الى الوطن الأم ((قرطبة)) والى المكانة الرقيقة التي كان يحظا بها عند الخلفاء، وما طلب الوفاء من ((ولادة))فقط بل كان يطلب الوفاء من كل شخص غدر به وقابل وفاءه بالغدر لاسيما ((ابن حزم)).

دومي على العهد ←——— مادمنا- محافظة = خاص ((ولادة))

فالحر من دان إنصافا ←——— كما دينا = عام ((كل من غدر))

ويستمر التحرك نحو المرأة ((الحبيبة)) أكثر فأكثر في الأبيات الأخيرة، وكأنه اقترب من المكان– ذاتيا– ليعزز ما ابتدأ به من امتزاج روحي لمثلث الذات المعذبة

(٢) الديوان:١٧٣ .

(٣) صبا:مال ،يصبينا:يثير صبوتنا ويبعث اشواقنا.

(٤)غائب طعمة فرمان روائيا،د٠ فاطمة عيسى جاسم،ص٥٤ ٠

((المكان، المرأة، الزمان))

وهذه هي صرخة الذات الصادقة التي لا تستطيع أن تجعل بديلاً عن الحب الضائع حتى وان كان ((بدر الدجى)). وهنا خصص الصورة للمقياس البلاغي الذي نقل التجربة الذاتية الى مسرح التصوير [١] ((لان الصورة الشعرية في محاولتها نقل التجربة باعتبارها خلقا فنيا جديدا للواقع من خلال اعتمادها على دالات بنائية تقوم على التناسب والتقارب فيما بينها تستمد وجودها من موضوعات حياتية يعايشها المبدع ويجسد تجربته من خلالها٠ فيتصل بها من مستويات ادراكية مختلفة تعتمد على الادراكين الحسّي والعقلي. ولعل الإدراك الأول هو الذي يسيطر على مجريات التصوير الفني أو الشعري لدى الشعراء عند نقلهم لتجاربهم الذاتية))[٢]

أولي وفاء ← أنتِ → وان لم تبذلي صلة

فالطيف يقنعنا ← أنا → والذكر يكفينا

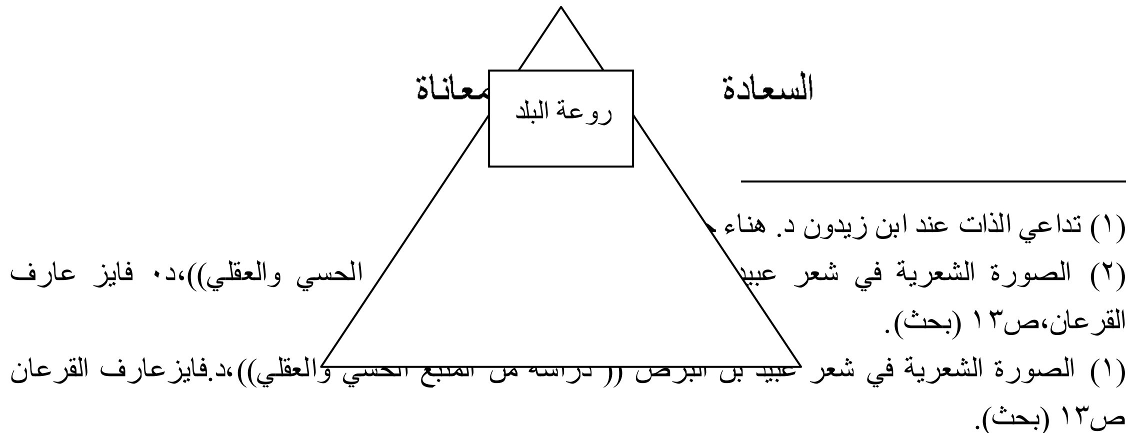
وفي الجواب متاعٌ ← أنتِ → أن شفعت به

بيض الأيادي ← أنتِ → مازلت تولينا

عليك منا سلام الله ← أنا → ما بقيت

صبابه بك ⇄ تخفيها فتخفينا[١]

إن العلاقة بين ولادة وابن زيدون تمثل العلاقة بين الرجل والأرض ((المكان)) ويرسم د.جمعة شيحة هذه العلاقة بالشكل الهندسي التالي:



(١) تداعي الذات عند ابن زيدون د. هناء

(٢) الصورة الشعرية في شعر عبيد الحسي والعقلي))،د٠ فايز عارف القرعان،ص١٣ (بحث).

(١) الصورة الشعرية في شعر عبيد بن الابرص ((دراسة من المنبع الحسي والعقلي))،د.فايزعارف القرعان ص١٣ (بحث).



فتنة الجسد

إن مثلث المحبة له قاعدة ذات وجهين كالقطعة النقدية: الوجه الأول فتنة الجسد والوجه الثاني روعة البلد والجمال الأول هو رمز للمرأة في تعلق الرجل بها وتوقه إليها في تكامل عاطفي غريزي ووجداني والجمال الثاني هو أنموذج لحب الإنسان لوطنه ومسقط رأسه وموطن خلانه وأصدقائه .وليس غريبا أن نجد في ديوان ابن زيدون هذا الربط بين فتنة الجسد وروعة البلد تشبيها واستعارة وحقيقة ومجازا فحبه لولادة هو جزء من حبه لقرطبة والعكس صحيح (٢).

ويبدو إن الالتحام مابين الذات والموضوع قد وصل الى درجة كبيرة مما جعل الحركة التحولية المكانية الوحيدة للإبداع ظاهريا، أما الباطن فقد حمل عدة دلالات احتمالية أطلقتها الذات التي رفضت الابتعاد عن المكان الأم ((قرطبة))

---

(٢) عصر ابن زيدون، د. جمعة شيخة، ص٢٤٦ .

المبحث الثاني

دلالة الطبيعة

إن الطبيعة بالأندلس خلابة، وهي روضة من رياض الجنة وقف عندها الشعراء وقفة تأملية لما منحها الله سبحانه وتعالى من سحر وجمال قال ابن خفاجة: [١]

يأهل أنْدلس لله دركمُ   ماءٌ وظل وانهار وأشجارُ
ماجنَّة الخلد إلا في دياركمُ   ولوتخيِّرتُ هذا كنتُ اختار

وهذه الطبيعة الساحرة ((تثير المشاعر، وتهز العواطف، ويزداد أثرها في نفوس الشعراء المتوفزي الاحساس المشبوبي الوجدان، ولقد بلغ إعجاب شاعرنا بهذه الطبيعة الرائعة درجة الوله والهيام، وزاد من ولعه بها إنها ارتبطت بحبيبته أوثق ارتباط ،فطالما تلاقيا في الفياض الندية والرياض الشذية على المياه الجارية بين

(١) ديوان ابن خفاجة:ص٣١٠.

الأزهار اليانعة والنسمات العليلة، وكم مال معها))[٢].

وأن سحر الطبيعة والحب لهما تأثير كبير على شعر ابن زيدون ((إذ سحرت طبيعة الاندلس حياة الشاعر، واحالته إلى إنسان متفتح القلب مشبوب الاحاسيس والعواطف، وارتبطت بذكريات حبيبة على قلبه لم ينسها ومال معها أينما حط عصا ترحاله))[٣]

لقد وصف ابن زيدون الطبيعة وصفا دقيقا ورسم أجمل اللوحات الفنية الإبداعية، لأنه وجد فيها الحركة التي تمثل الحياة ضمن ثنائية((الحركة/السكون))وقد صورها على نحو إنساني تملؤه الحركة والنشاط ،فتشاركه الهم والحزن بعدما بثها الشكوى.

قال: [٤]

إني ذكرتُكِ (بالزهراء)مُشتْاقَا	والأفقُ طَلِقٌ، ومَرأى الأرضِ قد راقا
وللنَّسيم اعْتِلالٌ في . أصائلهِ .	كأنه رَقَّ لي، فاعْتَلَّ إشفاقا
والرَّوْضُ_عن مائِهِ الفِضّي . مبتسمٌ	كما شَققتَ عن-اللَّبَّاتِ-أطواقا
نلهو بما يستميلُ العينَ من زَهَرٍ	جال النَّدى فيه ،حتّى مالَ أعناقا
كأنّه أعينه . إذ عاينت أرقي	بكت لما بي فجال الدَمع رقراقا

تحيلنا الذكرى، ومنذ البدء على المكان (الزهراء) وهي ضاحية – من ضواحي قرطبة*. وماله من تأثير على ذات الشاعر نتيجة الانقطاع المكاني عن ارض الألفة ـ الحبيبة ـ

(٢) ابن زيدون عصره وحياته ،علي عبد العظيم،ص٢٧١ -٢٧٣.

(٣) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون، د. عبد اللطيف يوسف ص٢١.

(٤) الديوان: ١٦٢.

*انشأها الخليفة الناصح بسفح جبل العروس،ورصد لتشييدها ثلث جباية الدولة وكانت تلك الجباية تناهز(٤٠) الف دينار واستمر في بنائها عشرات الاعوام. وجلب اليها الرخام ومهرة الصناع من القسطنطينة فجاءت اية من ايات العمارة في القرون الوسطى ينظر:الديوان: ١٦٢.

والذاكرة هي البؤرة التي تستمد مادتها من الماضي وتشع على الحاضر في ظل ظروفه التي تجعل الشاعر يحن الى الزمن الماضي بما فيه من ذكريات جميلة لذا أكدت جميع النظريات ((السايكولوجية))على العلاقة الصحيحة بين الذاكرة والزمن[١]

وبما إن ((الظاهرة الطبيعية لاتحدث في المكان وحده، بل تحدث في المكان والزمان معا))[٢] وان ((المكان والزمان غير موجودين بشكل مجرد، بل لهما وجود ملموس دائما، ووجودهما الملموس هو الذي يحدد صفاتهما الى حد بعيد .. وان التأكيد على ملموسية صفات المكان والزمان هو وجه آخر من أوجه نسبيتهما))[٣] فهما مرتبطان ومتلازمان الى حد التداخل الكامل. وقد امزج معهما الآخر – المرأة –

والشوق هو توقان النفس لرؤية من تحب[٤] وفيه الحنين،لان الحنين هو شوق وهما((النوستالجيا)) التي تفصح عما تعاني الذات العاشقة من معاناة نفسية بسبب البعد المكاني.

وفي حركة إبداعية رائعة ينقلها الشاعر الى الطبيعة الخلابة لرسم لوحته الفنية بريشة فنان مبدع، وهذه الانطلاقة تتناسب مع حركة النفس لرؤية الحبيب المفارق.

مشتاقا ـــــــــــــو((الأفق طلق)) و((مرأى الروض قد راقا))

وقد وفق ابن زيدون في اختيار مطلع النص، لأنه جعل من ((الزهراء)) المكان الجميل صورة للذات والطبيعة.

وجاء في قلائد العقيان، إن الشاعر بعد فراره من سجنه ذهب الى الزهراء، فطالعته الطبيعة الجميلة بابتسامة صادقة آنسته محنته وذكرته بحبيبته((فوافاها

(١) ينظر:الزمن في الادب،هانز ميرهوف،ص٤٩.
(٢) المعجم الفلسفي،د. جميل صليبا،٤١٣/٢.
(٣) الفيزياء النسبية والفلسفة،تأملات في الفكر العلمي المعاصر،معن النقري،ص٦٣
وينظر:الفيزياء والفلسفة،جيمس جينز،ص٩٢ .
(٤) لسان العرب:مادة((شوق)).

والربيع قد خلع عليها برده، ونثر سوسنه ووروده، واترع جداولها، وانطلق بلا بلها، فأرتاح ارتياح جميل بوادي القرى، وراح بين روض يانع وريح طيبة السرى، فتشوق الى لقاء ولادة وحن وخاف تلك النوائب والمحن٠٠٠))[١]فكتب هذه القصيدة التي جاءت معبرة عن أحاسيسه المرهفة، إذ نجد الطبيعة تشاطره المشاعر فالروض مبتسم والنسيم يرق فيعتل إشفاقا والزهر تخضل أعينه حنوا على ارقه،فيسيل دمعه رقراقا.

فقد جاءت (الافق طلق) و(اعتلال النسيم) و(الروض مبتسم) و(عين الندى بكت) مشخصة وهي تعبر عن حالتين متشابكتين في حياة الشاعر، الماضي الجميل بطلاقة افقه و(اعتلال نسيمه) و(ابتسام روضه) حتى اذا اشرق الحاضر اسودت الدنيا امام ناظريه، فأفصح وجدانه عن الاضطراب بتشخيص (بكاء الندى)[٢].

ولا يكتفي بهذه الصور المشخصة بل يشحن السياق بدفقات شعورية لتحديد الواقع ومحاصرته بتعابير (مرأى الارض قد راقا) و(كأنه رق لي)و(مائه الفضي) و(جال الندىفيه) و(عاينت ارقى) و(فجال الدمع رقراقا) وهكذا نقلت الطبيعة انفعالات الشاعر بعد أن اندمجت ذاته فيها، فلم يعد ابن زيدون وحيدا ضائعا، بل هناك من يشاركه في محنته[١].

ويرى د٠ إحسان عباس ،إن الشاعر وقف من هذا النص، لأنه جعل من هذا المنظر الفريد صورة للماضي في ظل من يحب، فكفل بذلك تحقيق المقارنة بين الماضي الذي جاء بكل شيء جميل والحاضر الذي جاء أيضا بشكل جميل لولا فراقها، ولم ينسَ الشاعر في أثناء هذا التوظيف النبات، فذكر إن الزهر يبكي بماء الندي إشفاقا ومشاركة له في حزنه[٢] .

وتبقى الصور ثاوية في الذاكرة ،ومستقرة في اللاوعي لأن ((قوة لا وعينا، هي

---

(١) قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، ص٧٣.

(٢) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون ـ دراسة نقدية، عبد اللطيف يوسف عيسى، ص١٣٦.(بحث)

(١) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون ـ دراسة نقدية، عبد اللطيف يوسف عيسى، ص١٣٦. (بحث)

(٢) ينظر:تاريخ الادب الاندلسي-عصر الطوائف والمرابطين-احسان عباس،ص١٦٢.

التي تبلور ابعد ذكرياتنا))[٣] ولأنها نتاج تجربة عميقة، لذلك انسجم ابن زيدون مع رياض الزهراء لأنها أثارت في نفسه ذكريات الماضي ،وفي موشح ((مواكب الذكريات))[٤] يظهر توحده مع الطبيعة في الزهراء أيضا عبر ذاكرته الغنية بالتجربة الذاتية، وهو يقبع في السجن . قال: [٥]

تَنَشَّقَ - من عَرْفِ الصَّبا- ما تنشَّقا

وعاوَدهُ ذكر الصِّبا فتشوَّقا

وما زال لَمْعُ البرق -، لما تألَّقا

يُهيبُ بدمع العينِ حتّى تدفَّقا   وهل يملكُ الدمعَ المَشُوقُ المُصَبَّ ؟

يبدو إن بنية العنوان ((مواكب الذكريات)) البؤرة التي تتدخل في متن النص ((ذكر الصبا)) وهي سلوة العاشقين، لان السلوى هي المثير المؤثر في النفس التي تتشوق للعيش بين الأهل والأحباب وعبر الفعل ((تنشق)) الذي افتتح به النص توحد الشاعر مع الطبيعة وأحس إنها تتغلغل في كيانه وتسيطر عليه بطريقة تكاد توحي بأنه مخلوق من مخلوقاتها، تعصف به الأهواء وتخضعه لمؤثراتها المحيطة.ويستمر في الوصف ((وصف مكانه في السجن)) ووصف((قرطبة)) و((المجالس)) و((القصور))[١] ثم يصرخ قائلا: [٢]

ويا حبَّذا(الزهراءُ) بهجةَ منظرِ

ورقةَ أنفاسٍ،وصِحَّةَ جَوهرِ

وناهيك من مبدَا جَمالٍ ومَحْضَرِ

وجَنَّةِ عدْنٍ تطَّبيكَ وكَوْثرِ   بمرأى يزيدُ العُمْرَ- طيباً- وينسأ

---

(٣) جماليات المكان،باشلار،ص٥٣.

(٤) الديوان: ١٥٦.

(٥) الديوان: ١٥٦.

(١) وقد فصلنا القول في الفصل الأول .

(٢) الديوان: ١٥٩ ،ناهيك:حسبك،تطيبك:تدعوك،ونيسا:يؤخر.

معاهدُ أبكيها لعهدٍ تصَرَّمـا

أغَضَّ- من الورد الجَنِيِّ- وأنعَمَا

لبسْنـا الصِّبا فيها حَبيرًا مُنمنَمـا

وقدْنا- الى اللذات- جيشًا عَرمْرَما   له الأمنُ ردْءٌ، والغضارةُ مَريا[٣]

كساها الربيعُ الطِّلقُ وشْيَ الخمائلِ

وراحتْ لها مَرْضَى الرياح البلائلِ

وغادَى بَنُوها العيشَ حُلوَ الشمائِلِ

ولازالَ منا بالضُّحى والاصائلِ   سلامٌ- على تلك الميادين-يُقرَأ[٤]

منذ البدء ومن خلال اسلوب النداء بـ (الياء) التي تمثل أعلى درجات الوضوح السمعي المتمثلة بصوت حرف العلة الطويل (الألف) وماله من تأثير في تنبيه السامع، ثم يبدأ الوضوح السمعي لأصواته تنخفض وتهبط، وهذا الهبوط يتدرج من الواضح جدا في أداة النداء (الياء) ثم الى الحاء ثم الباء والذال والألف، وهذا التدرج لم يأت اعتباطا، وإنما حسب حالة الشاعر النفسية التي تبدأ بالانفعال الشديد لتنبيه السامع بمقدار الحزن المتجسد في أعماقه عن طريق أصوات ياء النداء[١] أشعرنا ابن زيدون بامتزاج الذات بالمكان .

وبهذا الوصف الرقيق رسم ابن زيدون لوحة ((الزهراء)) فأبدع ((والإبداع كالحلم، وما دام الحلم يبتدئ على شكل صورة، فأن الصورة التي تبتدأ للحالم

(٣) الحبير المنمنم:الثوب الناعم الموش ،رده:ظهير ومعين،الفضارة:السعة والنعمة والخصب ،المريا:مكان المراقبة .

(٤) راحت:خفت وطابت .

(١)ينظر:منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري ،د٠ قاسم البريسم،ص١٨٢-١٨٣ .

(٢) في النقد الحديث دراسة في مذاهب نقدية حديثة واصولها الفكرية ،د٠ نصرت عبد الرحمن ،ص١٨٩ .

(٣) ينظر:الشعر العذري في ضوء النقد الحديث ،ص٧١ .

(٤) علم النفس والادب ،سامي الدروبي ،ص٨٨ .

،والشاعر رموز لمكونات اللاشعور))[٢] فالنص الإبداعي إذا ماهو إلا رموز تجسدت على شكل صور لغوية حالمة لمكونات لا شعورية، ثم افرغ الانفعالات والمكبوتات النفسية في مجال يسمى بالنص الإبداعي[٣] وبالتالي فأن الخلق الفني حسب النظرة النفسية، ماهو إلا ((ظاهرة بيولوجية نفسية وتعويضا تصعيديا عن رغبات أساسية ظلت بلا ارتواء بسبب عوائق من العالم الداخلي والخارجي))[٤] فبدأ ابن زيدون يعبر عن رغبته النفسية ومعاناته الذاتية التي جاءت عن الشعور بالظلم والاضطهاد والغبن من خلال استذكار الماضي استذكارا جماعيا ليعوض عن الوحدة ويحن الى ديار الصبا التي تمثل الحياة،الحرية،الوطن. وهي رموز مدونة من الذاكرة يستحضرها في اللحظة الآنية لأنها الزمن الايجابي الذي يتحرك في المكان الايجابي أو في اتجاهه[١].

وكأن الأمكنة –الطبيعة– صارت الوسيلة للتعبير عن مشاعره الذاتية والإنسانية التي يحاول من خلالها إن يبرز انفعالاته وعواطفه وأحاسيسه. ولأن((الشاعر إنسان يتكلم الى الناس))[٢] ولتحقيق تلك الغاية لابد له من أن يمتلك الوسيلة المناسبة للتأثير في عواطف المتلقي وعقله، لأن ما يقوله من شعر مرتبط بالكيان الداخلي والنفسي لكل إنسان، وهو في كل عمل فني((يصنع نفسه من جديد))[٣] وذلك من خلال ((اغتراف الخامات الأولية للمضمون وتشكلها تشكيلا فنيا يتسرب فيها ويتدفق إشعاعه من خلالها ويتعداها الى ابعد من حدودها، وهذا التدفق المستمر هو احد أسرار إبداع الشاعر وتجدده في الارتقاء بالعمل الفني الى مستوى الكمال والجودة))[٤].

---

(١) ينظر:حركية الابداع دراسات في الادب العربي الحديث،خالدة سعيد،ص٢٤٨.
(٢) الشعر كيف نفهمه وتتذوقه،اليزابيث دور،ص١٥.
(٣) م.ن ص٣٨.
(٤) الشعر بين الابداع والواقع ،صبيح ناجي القصاب ،ص١٢١.

وقد وقف ابن زيدون في تآلفه مع الطبيعة من خلال الصور الحسية والتي تعد الطريق المباشر للتجربة الشعرية[٥] والإدراك الحسي أيسر للإنسان من الإدراك الذهني[٦] وقد وظف الشاعر الطبيعة في صوره الحسية، لتقريب المعاني والأفكار التي أراد إيصالها للمتلقي . فالزهراء ((كساها الربيع الطلق وشي الخمائل)) و((راحت لها مرضى الرياح البلائل)) و((غادى بنوها العيش حلو الشمائل)) .

و((لازالَ منا بالضُّحى والأصائلِ))

سلامٌ – على تلك الميادينِ – يُقرَأ

وبهذا القفل أكمل الشاعر المبدع الصور الحسية الممزوجة بمشاعر النفس الإنسانية ،فالزهراء عند ابن زيدون مثلت مكانا تشكل في الزمان الماضي وارتدت إليه الذات بعد المعاناة من الاغتراب عن طريق الذاكرة التي تستطيع إفراغ الماضي من سيرته الجامدة والثابتة التصور وفرض هيمنة المستقبل المتحرك الذي يخلق امتداداً غير محدود من الفعل الشعري المتجاوز لتراتبية الأزمان المعلومة[١] أو ما يسميه باشلار ((استكشاف نفساني للأزمنة المتراكبة))[٢] وتجسيد المكان الممتلئ بإرهاصات الزمن المتغير . وبهذا يصبح المكان رمزا لتواصل الفعل الشعري عبر أبعاد ماضوية احتفظ بها الشاعر رمزا لتجربته الإنسانية الأولى.

إن الوقوف على مواطن الإبداع الأدبي، إنما تكون في أصعب الحالات التي يمر بها المبدع . فلحظة الإبداع لحظة صعبة قاسية تعمل على إشغال الفكر، وشده ليخرج النص الشعري نابعا من صميم تجربة الذات التي ترى في الأشخاص وفي الأحداث وفي المظاهر الطبيعية وما يعبر عن تجربتها وينقلها الى الآخرين[٣]وكان

(٥) ينظر: في الرؤية الشعرية المعاصرة، د.احمد الجنابي، ص٦٤.

(٦) ينظر:الصورة في شعر اوس بن حجر احمد محمود الحديثي ،ص٣٨.(بحث)

(١) دلالات المكان الشعري دراسة في شعر حسيب الشيخ جعفر ،ناجي عباس الركابي ،ص٨٤.

(٢) جدلية الزمن ،باشلار ،ص١١٣.

(٣) المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (٤٨٤ هـ - ٨٩٧ هـ) ،د٠ محمد

ابن زيدون يهيب بالطبيعة ناطقة و صامتة، حية وجامدة . أن تشاركه في نكباته وتهتم بمصيره لينقل من خلالها معاناته النفسية الى المتلقي الذي يقف أمام هذه الدلالات المعبرة عن الذات المعذبة . وفي قصيدة((مرارة الاعتقال))(٤)يقدم الشاعر لوحة فنية رائعة تحمل دلالات رمزية عديدة تكشف عن الامتزاج الروحي بين الشاعر والطبيعة.

ألمْ يأنِ أنْ يبكي الغَمامُ على مِثلي ؟ ويطلبَ ثأري البرقُ مُنصَلِتَ النَّصلِ ؟(٥)

وهلاّ أقامتْ أنجمُ الليلِ مأتمًا لِتندبِ في الآفاقِ ما ضاعَ من نَبْلي(٦)

ولو أنْصَفَتْني – وَهْيَ اشكالُ همَّتي . لألقت بأيدي الذلِّ لمَّا رأتْ ذلي(١)

ولا فْتَرَقتْ سَبْعُ الثُّريا وغاضَها بمطلعها مافرق الدهرُ من شَمْلي(٢)

وبلا ريب إننا أمام نص إبداعي متخيل ذي دلالات معنوية ونفسية يحملها السياق الشعري الذي يجمع فيه الشاعر جزيئات عمله الإبداعي، ليبلغ درجة التأثير، من اجل خلق الانفعال الذي يكشف أبعاد تجربته الوجدانية وهذا لا يتم إلا من خلال الخيال الذي يساعد على تشكيل الواقع الخارجي للنص الأدبي.

تحرك النص في إطار دلالات رمزية تتأرجح بين طرفي ثنائية ((الحقيقة/الخيال))وجدل((الذات/الموضوع)).والشاعر يهيب هنا بالطبيعة ناطقة وصامتة، حية وجامدة . ان تشاركه في نكبته وتهتم بمصيره.

أي:

الغمام ———————— حقيقة

بكاء الغمام ———————— خيال

عويد محمدساير الطربولي ،ص٣٥ .

(٤) الديوان: ٣٤٦.

(٥) لقد حان للغمام ان يندبتي وللبرق ان يسل سيفه مطالبا بثأري .

(٦) هلا اقمت النجوم متأما تندب فيه ذكري الحسن .

(١) لو انصفتني النجوم - وهي عالية مثل همتي .

(٢) غاض : نقص وقل .

البرق ———— حقيقة

يطلب البرق ثأري ———— خيال

أنجم الليل ———— حقيقة

أقامت أنجم الليل مأتما ———— خيال

لتندب في الآفاق ———— خيال

لو أنصفتني ((أي النجوم)) ———— خيال

لو أنصفتني نجوم الثريا السبع ———— خيال

لقد نجح ابن زيدون في استنطاق الطبيعة، فقد حان للغمام أن يندبه وللبرق أن يسل سيفه مطالبا بثأره، وان تقيم النجوم مأتما لذكراه الحسنة وآثاره الطيبة التي بددتها الأحداث .

ولو أنصفته النجوم – وهي عالية مثل همته – لهوت ذليله حينما أبصرت ذله وهوانه، ولو أنصفته نجوم الثريا السبع لتفرقت بعد ائتلافها ونقصت بعد تمامها، حزنا على ما فرقه الدهر من شمله .

والشاعر((ابن الطبيعة))[١] بل انه وجهان لأصل واحد، فنرى ابن زيدون يمزج بين ذاته والطبيعة وهي – في شعره – ذات حس وإدراك يخاطبها ويناجيها مستوحيا منها المشاعر والأفكار والعبر، وللطبيعة سحر خاص له دلالاته الرمزية عند ابن زيدون فمرة يبكي الزهر بماء الندى إشفاقا ومشاركة له في حزنه[٢]وأخرى تندبه الغمائم ويسل البرق سيفه طالبا بثأره[٣] وثالثة يجعل الأخلاق أزهارا تزدهر وتبتسم، إذ يقول: [٤]

نحنُ من نَعْمائكمْ في زهرةٍ　　　جَدّدءت عهدض الربيع المُقتَبَلْ

(١) سايكولوجية الابداع في الفن والادب ،يوسف ميخائيل اسعد ،ص٩٩.
(٢) الديوان: ١٦٢.
(٣) الديوان: ٣٤٦.
(٤) الديوان: ٤١٧.

طابَ كانون لنا أثناءها فكأنَّ الشمس حلت بالحمل[٥]
زَهَرَتْ أخلاقُكمْ فأبتسمتْ كأبتسام الورد عن لؤلؤ طَلْ[٦]

فالنص يسمو بالمتلقي الى أجواء الأفق والخيال ويغمره في جو من السعادة والهناء، ويقدم لنا صورة فنية في غاية البراعة والجمال، إذ ربط الشاعر في هذه الأبيات بين علاقاته الشخصية الإنسانية والطبيعية فجاءت معبرة عن مشاعره وأحاسيسه. بلغة تحاكي وتداعب مشاعر الممدوح .. لأن اللغة حجر الزاوية الذي يقام عليه البناء المتكامل في التعبير عن حالاته الإنسانية المختلفة، ((لأنها على وفق هذا التكوين ستقيم علاقات جديدة بين الإنسان والأشياء، وبين الأشياء والأشياء، وبين الكلمة والكلمة))[١] بل هي تأتي تعبيرا عن((جوهر الشعر))[٢] الذي يحاول أن يرتفع بها الى عالم الارتباط الكلي القائم على الإدراك الحسي والمعنوي للمضمون المستخلص من الحس والفكر والواقع، ولكنه لا يتلوها كمادة جامدة أبدا بل كحالة شعورية ترتبط بالفرد من خلال المحاكاة المستمرة التي تنطلق عبر التجربة الانفعالية التي يمر بها [٣]. وعليه ،فأنها تكتسب قيما إبداعية خاصة لكونها تشكل تركيبا لغويا يأتي تعبيرا عن المحتوى الوجداني الذي يعيشه الشاعر.

وهذا ما أراده ابن زيدون وهو يلج في اللغة ناظرا إليها بكل وجدانه ومستخدما إياها على وفق ما يجده ملائما لنفسيته الرقيقة فلكل شاعر ذاتيته الخاصة .. ومن مهمة الشاعر أن يبتكر اللغة التي تستطيع أن تعبر عن ذاتيته ومشاعره، وكل ما كان خاصا فأنه يمر غامضا[٤] . لذلك جاءت قصائده مفعمة بالأسى الذي غمر

---

(٥) الحمل برج من ابراج السماء الربيعية يطيب فيه الهواء ،والمعنى طابت الحياة في ظلالكم حتى ان جو الشتاء القارس الى جو معتدل محبوب.

(٦) زهرت: اضاءت ، والمعنى: اضاءت اخلاقكم وطابت وابتسمت كما تغتر الورود مبتسمة عن الطلل المنثور كاللؤلؤ الثمين.

(١) سياسة الشعر ،ادونيس ،ص١٥٤.

(٢) لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية ،د.عدنان حسين العوادي ص٩.

(٣) ينظر:التحليل النقدي والجمالي للادب ،د٠عناد غزوان،ص٣٣.

(٤) فن الشعر ،د٠احسان عباس ،ص١٦١.

ذاته المعذبة وتحول شعره الى قدرة تستوعب خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه بما تتيح له من قوة في الإيحاء والتعبير.

وان الخاصية الأولى التي ميزت شعره هي، إن هذا الشعر شديد الصلة بحياته .. ويمكن أن ننظر إليه من وجهين: فهو شاعر ذاتي من ناحية وشاعر بلاط من ناحية ثانية .وقد تجلت عبقريته في الوجهين معا(٥).

وقد أبدع الشاعر في مزج الطبيعة معهما لأنها متنفسه الرحب الذي يحتوي كل آلامه وشجونه.فهي تسمع شكواه وقد ((تعددت روافد الشكوى لتتعدد معها اصباغ الصور الطبيعية التي تلونت بها فقد يعاني الشاعر من الآم الغربة أو من الدهر وصروفه ،وأحيانا يشكو حتى من الحبيب من آلام الشوق وتباريح الهوى. فابن زيدون تمكن بفعل ما أوتي من موهبة متفردة أن يحقق نجاحا باهرا في خلق مزج متوازن بين الشكوى والطبيعة في اغلب أشعاره لاسيما في نونيته الغراء))(١).إذ يقول: (٢)

يا رَوْضَةً طالما أجَنَتْ لَواحِظَنَا	وَرداً جَلاه الصِّبَا غَضّاً ونِسْرِيَنا
وياحياةً تَمَلَّيْنا بزهرتها	مُنىً ضُرُوباً ولذاتٍ أفانِينا(٣)
ويا نعيماً خطرنا من غَضارتِهِ	في وَشْيَ نُعْمَى سَحَبْنا ذَيْلَهُ حِينَا(٤)
لَسْنا نُسَمِّيكِ إجلالاً وتكْرِمَةً	وقدرُكِ المُعتِلي عن ذاكِ يُغْنِينا
إذا انْفَرَدتِ وما شُورِكْتِ في صِفَةٍ	فَحَسْبُنا الوصفُ إيضاحاً وتَبْيينا(٥)

(٥) ينظر:في الادب الاندلسي ،د٠جودت الركابي ،ص١٨٩.
(١) الاصالة والتجديد في القصيدة الاندلسية في القرن الخامس الهجري ،جميلة محمد عبد ،ص٩٤.
(٢) الديوان:ص١٧١. النسرين بكسر النون:زهر طيب الرائحة،وفي المغرب والوافي بالوفيات (حناه الصبا).
(٣) تملينا:تمتعنا،وفي المعجب (تملأنا)،ضروبا:صنوفا،والمعنى جنينا من نعيم الحياة شتى المتع واللذات.
(٤) الغضارة:السعة والخصب والنعمة ،وفي القلائد والمغرب(سحبنا ذيلها).
(٥) معنى البيتين:اننا نصون اسمك عن التصريح به اكبارا لك واجلالا،فان انفرادك بالجمال والجلال لا يحوجنا الا الى ادنى اشارة.

يا جنّةَ الخُلْدِ أُبْدِلْنا بسدْرَتِها والكوثرِ العَذبِ زَقوماً وغِسلينا(٦)

تشكلت في النص ثنائية ((أنت/أنا)) ناتجة من امتزاج بين ((الطبيعة/المرأة)) لتكون دلالة ((أنت)) وامتزاج آخر بين ((الطبيعة/الذاتِ)) لتكون دلالة ((أنا)) بين طرفيها علاقة بعد زماني يشكل بدوره ثنائية زمانية ((الماضي /الحاضر))التي تشير إليها كلمة ((طالما)). وهذا يؤكد إن الشاعر كان يعيش صراعا داخليا بين ما يشاهده على الواقع وبين ما يريد تحقيقه فيه، فهو يبحث ((شعوريا أو لا شعوريا نحو غير المألوف))(٧) من اجل إثبات ذاته مقابل الوجود فـ ((الذات توضع عادة مقابل الوجود بدل أن تكون هي والوجود شيئا واحداً))(١) وبهذا فهو يحمل شعار ((إني أنا نفسي بوحدي))(٢) وهذا ناتج من حرارة التجربة وشدة المعاناة وصدق الشعور، اذ ان طول البعد وشدة الحرمان اوقد مشاعره التي طالما اختمرت في ذاته لتنفجر شعرا عذبا يقطر حزنا واسى.

أما إستخدام الشاعر لأسلوب النداء الذي تكرر ثلاث مرات متتالية مع الألفاظ ((روضة،حياة،نعيما)) وجاء النداء الرابع بعد بيتين ((يا جنة الخلد)) ليكمل المشهدي الدرامي للنص الذي يحمل دلالة الطبيعة والذات .

لقد اعتمد ابن زيدون في نصيه على التكرار بنوعيه الصوتي واللفظي بشكل مكثف مما زاد من عذوبة الأداء الشعري والجمال الموسيقي .

إن ظاهرة التكرار لا يلجأ إليها الشعراء عبثا وإنما يعتمدونها لما لها من اثر

(٦) السدر:شجر النبق،والزقوم شجرة حبيثة:ذات ثمر مر،وقد ورد في التنزيل انها ((شجرة تخرج في اصل الجحيم ،طلعها كأنه رؤوس الشياطين))اما طعامها فهو((طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم)):وفي الذحيرة والقلائد والخريدة والمغرب والمعجب والنفح والوافي بالوفيات(بسلسلها)وقد اثرنا رواية الديوان لان السدر يقابل الزقوم.

(٧) سيكولوجية الابداع في الفن والادب :يوسف ميخائيل اسعد ،ص١٠٢.

(١) العزلة والمجتمع ،نيقولاي برديائق ،ص٥٢.

(٢) شكسبير والانسان الموحد:برديائق، ص٥٢.

ووقع في الإذن وفي النفس[٣] .

والشاعر هنا ينادي الذات وليس الطبيعة ((انها ليست شيئا موجودا هناك خارج الذات))[٤]

إن النص مثل حالة الأسى والتحسر التي يعيشها الشاعر،فهو يندب جنة الخلد التي اخرج منها كرها، ولكنه مع ندبه يحن إلى تلك السدرة،والى ذلك الكوثر العذب الذين أبدل بهما طعام النار وشرابها :الزقوم والغسلين[٥].

((وبدون ريب تحدث هذه الصور المتلاحقة من مراعاة النظير انسجاما صوتيا بديعا في موسيقى ابن زيدون وإيقاعاتها التي تصافح الآذان، بل التي تلذها حين تستمع إليها، كما تلذ الالسنة حين تنطق بها، وتلذ الأفئدة، وابن زيدون لا يلائم بين الكلمات وحدها ،محدثا هذا الوشائج من القرابات ،بل يلائم أيضا بين حروفها وحركاتها، وكل من يتأمل في هذه القصيدة يلاحظ إن رويها نون موصولة بالألف وتكثر هذه النونات وألفاتها في الأبيات ، كما تكثر حركات الفتح ائتلافا مع حركة الروي، وكل ذلك يحدث التئاما قويا في الإيقاع الصوتي وجرسه))[١].

لقد وقف الشاعر في هذه المقطوعة التي تعد صرخة بوجه الزمن الذي فرق بينه وبين الأحباب باستخدام اسلوب التكرار لحرف النداء ((ياء)) الذي يعني في الأصل طلب الإقبال أو تنبه المنادى وحمله على الالتفات بأحدي حروف النداء[٢]. والشاعر هنا لم يوجه النداء الى الشخص يعي، بل اخذ من الطبيعة ما يحمل دلالتها ليبثها ما في الذات من عذاب ولا يريد من وراء النداء جوابا .. بل ليعبر عن حزنه وألمه بهذا الأسلوب .

---

(٣) شعر الحب في العصر الاموي دراسة في ثنائيات الشكل والمضمون ،د. هناء جواد ،ص١٦٤.

(٤) اقنعة النص، سعيد الغانمي،ص٥٤.

(٥) النبات ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف ،عبد الكريم محمد خلف الجنابي،ص٩٣.

(١) الايقاع الموسيقي في شعر ابن زيدون ،د. شوقي ضيف ،ص١٠-١١(بحث).

(٢)ينظر:شرح الاشموني على الفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج٢/ص١٣٥

وينظر التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، ص٢٧٨.

ويلاحظ في هذه الابيات براعة ابن زيدون في الوصف الخلاب، وقد قام وصفه على روعة التصوير وعلى افراد ولادة بمحاسن ليست في غيرها من البشر، فكأنها مخلوقة من المسك وغيرها مخلوقون من الطين، وبشرتها كأنها من الفضة الخالصة لبياضها وشعرها كأنه الذهب لشقرته،وجسمها ناعم جدا الى درجة أن العقود المزدوجة التي تلبسها تميلها ذات اليمين وذات الشمال والخلاخيل تدميها لنعومتها وهي روضة وجنة وكوثر، لامثيل لها في صفاتها(٣).

وقد استعان الاندلسيون بالطبيعة لتزين تعبيرهم ونقل صورهم عن طريق أساليب الاستعارة لأنها ((خير من يصوغ موقف الشاعر وتصور شعوره حين تجسد معانيه وتشخص أفكاره ويلقي عليها ظلالا وألوانا حتى تبعث فيها الحيوية والإثارة عبر خيالات وإيحاءات تهتدي بالعاطفة للنفوذ الى مشاعر المتلقي)).(١)

وفي ذلك يقول ابن زيدون: (٢)

كانتْ له الشَّمْسُ ظِئراً في أَكِلَّتِهِ ... بلْ ما تجَلى لها إلا أحايينا

كأنّما أُثْبتَتْ في صَحْنِ وَجْنَتِهِ ... زُهْرُ الكواكبِ تعْويذاً وتزْيينا

ما ضَرَّ أَنْ لمْ نكنْ اكفاءَهُ شَرَفاً ... وفي المَوَدَّةِ كافٍ من تكافينا

إن النص لوحة جذابة من لوحات الطبيعة الاندلسية الخلابة رسمها الشاعر بريشته الرشيقة باثا فيها ارق المشاعر موظفا اسلوب الاستعارة في التصوير خير توظيف عندما خلع على الشمس الصفة الإنسانية التي أثرت الأذهان بمعان موحية. وقد تجلت أمام المتلقي لوحة إبداعية كاملة. ((حين تتنزل الشمس لتكون رفيقة سليلة المجد، بل تكون هي الظئر التي تتردد على كلتها وتجوب من صولجان ..فأن طلعة الحبيب لتعز على الشمس حتى ما تجلى لها احايينا ..))(٣) ولم يكتف ابن زيدون بالشمس لأنها تشرق في النهار وأراد أن يكون لكواكب السماء في الليل دور في

(٣) قراءات في الشعر الاندلسي ، د.صلاح جرار،ص٧٠.
(١) الصورة الفنية في شعر ابن زيدون ،عبد اللطيف يوسف،ص١٣٢.
(٢) الديوان: ١٧٠ـ ١٧١ .
(٣) التجربة الانسانية في نونية ابن زيدون،د٠ سعيد حسين منصور،ص٣٤ .

حماية محبوبته وكأنما أشرقت النجوم في محياه لتقيه الحسد،وترد عنه العيون .

ويقول أيضا: [٤]

أنتِ مَعْنَى الضَّنَى وَسرُّ الدُّموعِ، وسبيلُ الهَوَى، وقصدُ الوَلوع

أنتِ والشَّمْسُ ضَرَّتانِ، ولكِنَّ لكِ ـ عندَ الغُروبِ ـ فضْلُ الطُلُوع.

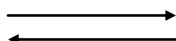
فالقراءة المتذوقة لهذين البيتين تهدي إلى ما فيه من جمال إيقاعي ينسجم مع المعنى العام. إذ يرى جان كوهن: ((هناك علاقة بين الصوت والمعنى وهي – كما نعلم – علاقة اعتباطية غير إن هذا لا يصدق إلا على الدليل المفرد، فمجرد ما ننتقل إلى النسق تبرز المناسبة بين الصوت والمعنى))[١] وهذا ما افرزه التكرار الصوتي واللفظي ((أنت معنى الضني)) ((أنت والشمس)) ((الولوع)) ((الغروب)) ((الطلوع)) فقد كانت هناك علاقة بين تردد حروف هذه الألفاظ التي جاء بها ليعمق المعنى في ذهن المتلقي .

لقد رسم ابن زيدون صورة ولادة المشرقة التي فاقت بجمالها جمال الشمس التي كانت ضدة لها وهذا اسلوب إبداعي جعل من ثنائية ((الثابت/المتغير)) أساسا لحركته الفنية في تحديد ثبوت جمال الحبيبة في حين كانت الشمس في غيابها عند المساء صفة ((التغير)) وهذه اللوحة جاءت منبثقة في النفس المحبة التي ترى في الحبيب كل شيء جميل، لان الحب في حقيقته هو الذي يجعل للمخلوق البشري وجودا إنسانيا حقيقيا[٢]أو على تعبير سارتر: نحن نشعر بأننا زائدون عن الحاجة إلى

---

(٤) الديوان: ٢٠٠.

(١) بنية اللغة الشعرية، جان كوهن،ص٧٥.
(٢) سيرة الحب والجمال في حياة العقاد ،د.محمد عبد الواحد حجازي،ص٤٧.
(٣) ينظر:كتاب ساعات بين الكتب ،العقاد ،ص٢٨٥.
(٤) مشكلة الحياة، زكريا ابراهيم، ص١٤٩.



أن يجيء الحب فيجعلنا نهتدي إلى مبررات وجودنا في شخص آخر[٣]. على هذا فالمحور الرئيس للوجود الإنساني يقوم على التعارف الوصالي مع الذات الأخرى . وذلك ما ارتاه مارتن بوبMartion Buber حيث يقول: ((إن المحور الرئيسي في الوجود البشري ليس هو المحور الممتد بين قطبي ((الانا)) والعالم...بل هو ذلك المحور الممتدد((الانا)) و ((الانت)) وليس الإنسان في الحقيقة فردية بقدر ماهو علاقة مع الآخرين على وجه التحديد))[٤] لذا جاءت لفظة ((أنت)) المكررة مرتين لتعبر عن ((أنا)) ((أنت))

ويقول: [١]

أيوحِشني الزَّمانُ وأنتِ أُنسِي ؟
ويُظلِم لي النَّهارُ وأنتِ شَمسي ؟
وأغرِسُ في مَحَبَّتِكِ الأماني
فأجْنِي المَوْتَ من ثَمَراتِ غَرْسي

ولا تزال هي الشمس فلا وحشة لزمانه ولا ظلام لنهاره أي:

ايوحشني الزمان ←——— أنت أنسى ———→
الذات
يطل لي النهار ←——— أنت شمس ———→

واستمر في وصفها إذ يقول : [٢]

ياأخا البَدْرِ سَناءً وسَناً   حفِظَ اللهُ زماناً أطلَعَك

---

(١) الديوان: ٢٤٠.
(٢) الديوان: ٢٠١.

إنْ يطُلْ بَعْدَكَ لَيْلي فَلَكَمْ　　　　بِتُّ أشكو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكْ

إن دلالة الطبيعة في هذين البيتين تمتزج مع عاطفة الشاعر والعاطفة ناحية من نواحي الوجدان ولون من ألوانه.(٣)

فالشاعر ((يندمج في الأشياء ويضفي عليها مشاعره وقد قيل في هذا المعنى أن الفنان يلون الأشياء بدمه))(٤) فمن اجل أن تكون العاطفة مؤثرة لا بد أن تكون منبثقة من أعماق الذات دون تصنع أو زيف . وهنا يكون الإبداع الفني.

لقد نجح ابن زيدون في رسم صورة الذات الإنسانية التي تنادي الأحبة ويشكو لهم طول الليل.

ولا شك إن استحضار الشاعر نسيم موطنه والتغني به إذا ما أحس بالغربة، فانه يستحضر المكان الذي درج عليه وألفه وخبره، وحين كان يشتاقه ،فانه يشتاق إلى الأهل والأحبة ، ومجالس الأنس.

قال: (١)

غَريبٌ بأقصى الشَّرْقِ يشْكُرُ للصَّبا　　　　تحمَّلَهَا منهُ السَّلامَ إلى الغرْبِ

وما ضَرَّ أنفاسَ الصَّبَا في احْتِمالِها　　　　سَلامَ هَوًى يُهْديهِ جسمٌ إلى قلبِ

يبدأ الشاعر النص بلفظة ((غريب)) وقد أكد ابن منظور، إن الغريب من ليس

---

(٣) الاصول الفنية للادب ،د٠ عبد الحميد حسن ،ص٩٧.

(٤) الشعر العربي المعاصر ،د٠ عز الدين اسماعيل ، ص١٢٧.

(١) الديوان : ١٨٣.

(٢) ينظر:لسان العرب ((مادة (غرب))).

(٣) ينظر: المعجم الادبي ، جبور عبد النور، ص١٨٦.

من القوم،وغرب بعد والغربة الاسم من الاغتراب[٢]. وهي – أي الغربة – عاطفة تستولي على المرء بابتعاده عن ديار الأحبة فيعبر عن مشاعره بصورة أخيلة ،ومعان، تختلف جودة وعمقا .. أو الشعور بان العالم سجن أقحم فيه المرء مرغما، فكبله بقيود فيحس بأنه غريب بين مواطنه وأهله [٣].

إن إحساس ابن زيدون بحالة استلاب تام ((فقد سلب منه المكان، والزمان والمشاعر)) فعاش حالة التمزق الروحي والجسدي .. فجسده في الشرق ويقصد به الساحل الشرقي للأندلس على البحر الأبيض المتوسط إذ عاش مدة في طرطوشة* تاركا قرطبة في الغرب وفيها قلبه وما بين جسده وقلبه بعد زمكاني طويل . وقد استعان بريح الصبا التي مرت به أن يحمل السلام من الجسد إلى القلب، وهذا الإحساس المأساوي تجسد عبر الصورة الفنية التي رسمها الشاعر وقد صدق سي دي – لويس، إذ قال :((إنها في ابسط معانيها رسم قوامه الكلمات))[١]. فمن خلال رسم الصورة وصلنا إلى ذاته المعذبة التي تعاني الشتات وقد جمعت ريح الصبا بين الشرق والغرب ((الجسد والقلب)) لأنها حملت السلام وهي بذلك تستحق الشكر.

ومن مكان آخر – مدينة بطليوس*- يصوغ ابن زيدون أرجوزة يتمنى هبوب ريح الصبا من قرطبة لأنها تحمل ريح الأهل والأحباب.

---

* طرطوشة من اعمال بلنسية قرب الساحل الشرقي للاندلس و هي قلعة حصينة تقع على صخرة منبسطة في سفح جبل الكهف على نهر ابرة وقد اشتهرت بوفرة سلعها فأمها التجار من كافة الاصقاع.

(١) الصورة الشعرية، سي دي ـ لويس، ترجمة:د. احمد نصيف الجنابي، ص٢١.

*بطليوس قاعدة ملك الافطس وتقع على نهر انه في الشمال الغربي من قرطبة.

(٢) الديوان : ١٨٤ ، القبول :ريح الصبا وهي ريح طيبة تهب من الشرق ، والمعروف ان قرطبة تقع الى الجنوب الشرقي من بطليوس حيث لجأ الشاعر اليها .

(٣) العهد : المطر المتوالي ، أو هو اوائل المطر والمعنى ريح مؤذنة بالمطر ، وأن عهد هذه الرياح بقرطبة .

فيقول: (٢)

ليت القَبُولَ أحْدَثتْ هُبوبـا

ريحٌ يروحُ عَهْدهُا قريبا (٣)

بالأفـُق ِالمُهدْي إلينا طِيبـا

تَعطرتْ منه الصَّبـا جُيُوبـا

يَبْرُدُ حَرَّ الكبِدِ المَشبُوبـا(١)

لعل الشاعر أراد باستخدامه لأسلوب التمني بـ((ليت)) أن يؤكد غربته الذاتية التي أفصح عنها في نهاية النص ((يبرد حرالكبد المشبوبا)) عن طريق حلم يتمنى أن يتحقق ،وهنا يدخل الحلم عنصرا أساسيا في تحقيق الرغبة، ويكون المنقذ في لحظة يحس بها الإنسان المغترب إنها النهاية (٢). وقد ((يتكون الحلم من عنصرين أساسيين، فأما انه حلم بوصال كان – وهذا ما يسميه بالتواصل الموعي – وأما انه حلم بوصال سيكون – وهذا ما نطلق عليه اسم التواصل المتمنى))(٣).

لقد عجز الشاعر في الإمساك بزمام الأمور التي توصله إلى الأهل والأحباب فتمنى – حلم – أن تهب عليه ريح طيبة من أرضه لتبرد حر كبده . ويبدو انه نجح في اختيار الوزن الشعري ((الرجز)) في رسم صورته الشعرية لان هذا اللون الموسيقي ينقل دقات القلب الذي يعاني من الم الفراق فلا يستطيع أن ينظم على احد أشكال البحور العروضية الطويلة، إذ إن ((الألم الذي يعبر عنه بالصوت يؤثر فنيا تأثرا روحيا ابلغ من تأثير الالم الذي يعبر عنه بقسمات الوجه وحتى بالحركات))(٤)

---

(١) برده : جعله باردا.

(٢) شعر الحب في العصر الاموي ،د٠ هناء ،ص٩٩ ،وينظر:وجهة نظر في حب ولادة ،د٠ هناء (بحث).

(٣) الموضوعية والبنيوية ،دراسة في شعر السياب ،د٠ عبد الكريم حسن ،ص٧٢.

(٤) مسائل فلسفة الفن المعاصرة ،جان ماري جوير ،ص٧٩.

* بلنسية :مدينة على الساحل الشرقي للاندلس على بعد ثلاثة اميال في البحر الابيض المتوسط ،وتقع على نهر

وهذا ما حققه ابن زيدون في نصه إذ نقل مشاعره من حزن وألم بموسيقى حزينة ناجمة عن دقة اختيار الكلمات الدالة الموحية.

وفي قصيدة ((ذكريات بلنسية))* يخاطب ابن زيدون ريح الصبا قائلا: [٥]

راحَتْ فَراحَ بها السَّقيمْ ريحٌ مُعَطِرةُ النَّسيمْ
مَقْبولَةٌ هَبَّتْ قَبو لا ً ، فَهْيَ تَعْبَقُ في الشَّميم[١]

وقد كتب هذه الأبيات بعدما جاشت نفسه بأطياف أيامه ولياليه الحلوة في بلنسية مع صديقه الوفي أبي عبد الله بن عبد العزيز وقد عبر فيها عن شوقه وحنينه لتلك الأماكن الجميلة بعدما هبت ريح معطرة تعبق في الشميم .

إن شعر ابن زيدون صورة من ذاته وهو فنان استطاع بفنه الإبداعي أن يصل إلى قلوبنا وفكرنا بقصصه العاطفية والاجتماعية والسياسية، والفن في حقيقته،توجد فيه الذاتية والموضوعية، فلكلا الأمرين التعبير والأداء على حده لا يؤدي إلى فهم طبيعة العمل الفني بالشكل الصحيح، لهذا يتوجب الاخذ بالأمرين لفهم الطبيعة الأدبية [٢]. وقد امتزج عنصر الأدب، أي ((الذاتية والموضوعية)) لدرجة الإبداع الفني عندما حقق ما أطلق عليه كرومبي ((التوصيل((commurlication))))

إذ من الواضح إن الأدب – أيا كانت مناحيه وأوضاعه – لابد له أن يكون صلة وحيث لا تكون صلة لا يكون أدب[٣].

جار تدخل اليه السفن. البحرية فهي برية بحرية تحيط بها الحدائق الغناء والمروج الناضرة ،وكانت حاضرة ملك بني عبد العزيز وقد فتن في وصفها الشعراء .

(٥) الديوان : ٢٦٨، راحت :طابت ،راح السقيم:اخذته خفة.

(١) القبول :ريح الصبا وتهب من الشرق ،تعبق:تفوح .

(٢) اشكالية الابداع والمعرفة الجمالية دراسة في فلسفة الفن والجمال ،حامد سرمك حسن ،ص١٠٦ .

(٣) قواعد النقد الادبي، ص١٨ .

(٤) الديوان : ٣٥٦،انبجس:تفجر.

(٥) لاعجب ان كنت مطروحا في السجن ، فالغيث قد يحتبس ضيا عن السقوط ثم لا يلبث ان يهطل فيسقي النبات

قال: (٤)

إنْ قَسَا الدهرُ فللما	ءِ منَ الصَّخْرِ انبِجاسُ
ولئنْ أمْسَيْتُ محبو	سا ً،فللغَيثِ احْتِباسُ(٥)
يَلْبَدُ الوَرْدُ السَّبَنْتَى	ولهُ بَعْدُ افتِراسُ (١)
فَتَأمَّلْ كيف يَغْشَى	مُقلةَ المجد النُّعاسُ
ويُفَتُّ المسكُ في التُّرْ	بِ فيوطَا ويُداسُ (٢)
لايكنْ عهدُكَ وردا ً	إنَّ عهدي لكَ آسُ

لتجسد ظاهرة الاغتراب الذاتي في النص من خلال لفظة ((محبوسا)) والتي حملت دلالة الاغتراب المكاني والزماني التي أشارت له لفظة ((أمسيت)) ولكنه سبق هذه الظاهرة بصورة حركية ليؤكد أمنية في النفس المغتربة التي استيقنت إن الهم سينفرج عنها، وقد نجح الشاعر في عقد علاقة توافقية بين قسوة الدهر وخروج الماء من الحجر الصلب . إذ قسا الدهر فقد ينجم عن قسوته النعيم كما يتفجر من الصخر الماء الزلال . ولم يكتف الشاعر بهذه العلاقة المنبثقة من الذات الذائبة بالموضوع، فشكل علاقة جديدة من خلال توظيف لطيف للنبات إذ بين لأبي حفص* إن عهده له كالآس الذي يمثل الخضرة الدائمة وطلب منه إلا يكون عهده كالورد الذي يخضرُّ في موسم معين ثم يعاوده الذبول، وهذا الأداء الفني جسد قدرة الشاعر على تشكيل رؤيته الإبداعية عن طريق البناء اللغوي المتوصد بالخبرة الوجدانية لان لكل((أداء لغوي فاعلية متجددة داخل بناء القصيدة، وهذه الفاعلية تخلق عدة علاقات متداخلة متضامة تتنوع في تيارات لا

(١) يلبد يقيم بمكانه لايبرحه ، الورد : من اسماء الاسد السبنتى،الاسد او النمر او الجريء والمعنى :يسكن الاسد حينا ثم يثب على فريسته .

(٢)الديوان: ٣٥٦-٣٥٧ .

*احمد بن برد ،من الكتاب الشعراء كان مقدما في الدولة العامرية وبعدها ،توفي سنة (٤١٨)هـ ، ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس – الحميدي – ص١١١ .

تـدرك منفصـلة، وإنمـا تنبثـق شـكولها مـن خـلال الـدلالات اللغويـة وبواسـطة تتـابع المعطيات الإيحائية)) [٣] .

(٣) تذوق النص الادبي ،رجاء عيد ،ص٥٤

الفصل الثالث

تشكيلات المكان الحلمي المتخيل

مدخل

المبحث الأول :المكان الحلمي المعيش المتمنى الرجوع اليه.

المبحث الثاني :المكان الحلمي غير المعيش المتمنى الحصول عليه.

مدخل

إذا كانت الدراسات الواقعية قد رأت في المكان شيئاً يمكن تحديد أبعاده الجغرافية والاجتماعية والنفسية، فأن المكان الحلمي المتخيل، فاقد لتلك الشروط أو لجزء منها، والمتمثل ((بعدم امتلاكه بعدا ماديا موضوعيا، يمكن من خلاله معاينته وإدراكه عن طريق الحواس، إذ لايتمرأى سوى للذات المتخيلة ، التي تنسج له أبعاده وصوره، وتمنح له واقعيته المتخيلة أو المحتملة))(١)، وعلى ذلك فهو ((ابن المخيلة البحت))(٢)، لأنه يستمد مكوناته وخصائصه من منطلق خيالي بحت ومنها . أي المختلة ـ يأخذ علاقاته وأبعاده وفضاءه، خارج التماس المباشر مع العالم الموضوعي..

وهذا المكان غير مرئي وغير مدرك بالحواس، فهو غير موجود وجوداً فاعلاً إلا في مخيلة الشاعر المبدع الذي يستطيع أن يجعل المتلقي في حدود مكانية ذات أبعاد جمالية فنية.

فالمكان المتخيل، الذي يبدو ظاهريا وقد ابتعد عن حدود الواقع، يجب أن يكون قد أنغرس . داخليا . انغراسا فاعلاً فيه، سواءً أكان الجسر الرمزي الواصل بين المكان المتخيل والواقع ذا دلالة موضوعية أم نفسية، فمن خلال الغائه العلاقات العقلانية بين الاشياء، يستطيع أن يحقق طموحه الفني، والفلسفي والجمالي، بما يغمر به القارئ المتذوق من عوالم مدهشة تستفز أعمق الأحاسيس وأخلدها في الذات الإنسانية المكتهنة لحقائق الوجود، فالشاعر . غالبا . يبني مكانه المتخيل، كحلم يقظة فلسفي، يحيلنا إلى العوالم النفسية العميقة والخفية للإنسان المتسامي، وموقفه من الوجود ، ففي المكان المتخيل، يجري أحداث تغيير جذري في المكان الموضوعي لغاية رمزية سامية، تجسد طموح المبدع لتغيير صورة العالم من حوله(٣).

---

(١) المكان في الشعر المهجري ، حكيم صبري عبد السادة : ص١٦٢.
(٢) الرواية والمكان ـ دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير : ص ٢٧/١.
(٣) المكان ودلالاته من شعر السياب ، محمد طالب غالب البجاري :ص٧٣.

وبهذا يتحقق النضج الفني والفكري في النص، لأن الكتابة ماهي ألا ((بلورة للرغبة في أنموذج خيالي يطلق عليه عادة الخطاب، أو النص الأدبي، انه خطاب الرغبة الأسيرة في سجن النسيج اللغوي. ومتنفسها هو الوسائل البلاغية والرموز، وموطنها الخيال))(١).

وقد عدّ ابن سينا الخيال والمصورة مصطلحا واحداً(٢). وهذا يجعل من الشكل الفني شكلاً حلمياً موجهاً إلى الخارج بعد أن، كان في الداخل. ويكون العمل الفني قريبا من العمل الحلمي، والهدف واحد هو إشباع الرغبة، فالحلم كأي عمل فني ينشأ نتيجة الفعاليات المقدمة في تنظيم رمزي، وكذلك الفن يحاول الربط بين ما يقدمه عن طريق التنسيق والتوازن والترتيب والتنظيم ،وعلى ذلك فالشكل الفني شكل حلمي أساساً. وهو((حلم الفنان))(٣)وفيه يتحول الفن إلى تعبير جمالي ((لأن الأمور التي تضفي عليها تعابير جمالية ليست في الحقيقة سوى مميزات حلمية))(٤).

ومن ثَّم نستطيع أن نقول أن المكان الحلمي مكان يمتزج فيه ((الخيال الرومانسي بالملاحظة الطبيعية، والتجربة الشخصية بالتكوين النفسي والاجتماعي..))(٥) .

وبما أن البحث يتعلق بالشاعر المبدع ابن زيدون فأننا نجد الشاعر وبسبب ظروفه الخاصة قد هرب من الواقع المر إلى عالم الخيال والحلم ليحقق ذاته المعذبة. وهو بهذا الحلم يستطيع تغيير ما يجده منافيا لحياته وسعادته، فالشعر الخيالي له القدرة على جعل الحقيقة تعي ذاتها لتنتقد نفسها بنفسها وتتبدل(٦).

ومما يلاحظ في ديوان ابن زيدون انه اعتمد المكان الحلمي في رسم لوحاته الفنية.

---

(١)[بحثا عن لاوعي النص الأدبي] ، د. احمد حيدوش : ص٩٩.
(٢) ينظر : كتاب الشفاء ، القسم الخاص بالنفس ، ابن سينا ، تحقيق ياكوش ، ص٤٥.
(٣) في النقد الأدبي ، د. شوقي ضيف ، ص٨٢-٨٣.
(٤) التحليل النفسي والفن : د. أي . شنايدر ، ترجمة يوسف غبد المسيح ثروة ، ص٧٤-٧٥.
(٥) الحكاية الجديدة ، محمود خضير ، جريدة الجمهورية ، بغداد ، ٢٧/ ٨/ ١٩٨٧.
(٦) ينظر : بحوث في الرواية الجديدة ، ميشال بوتور ، ترجمة فريد أنطوينوس ، ص٣٩.

ويمكن تقسيم المكان الحلمي المتخيل في الديوان إلى مبحثين، المبحث الأول يتمثل بالمكان الحلمي المعيش المتمنى الرجوع إليه. وقد اخذ ضعف المادة لأنه ينطلق من نقطة الحقيقة الراسخة في مخيلة الشاعر.

أما المبحث الثاني فأنه يتمثل بـ(المكان الحلمي المتمني الحصول عليه) وقد تخلل المبحثين الحلم الذي تجاوز الواقع بأبعاده الزمانية والمكانية ليشكل مكاناً أخر يجسد الذات.

المبحث الأول

المكان الحلمي المعيش المتمنى الرجوع إليـه .

للظروف السياسية والعاطفية دور خطير في حياة ابن زيدون وفنه. وقد أدت تلك الظروف إلى ابتعاده عن موطن صباه ومكان طفولته وحبه الضائع.. هذا الحب الذي خلق له خصوماً أقوياء تآمروا عليه ودبروا له المكائد حتى ادخلوه السجن وأخطر ما وجهه الاعداء إليه هو تهمة التآمر على الدولة ومحاولة الانتفاض على الأمير.

لقد خسر شاعرنا حياته السياسية ومكانته الرفيعة عند ابن حزم وهذا أمر عصيب ولكن الأدهى والأمّر هو فقدان مكانته في قلب الحبيبة . ولادة . التي انمازت بصفات نادرة الوجود فهي ((أديبة شاعرة جزلة القول مطبوعة الشعر تمالط الشعراء وتساجل الأدباء وتفوق البرعاء)) (١) وكانت واحدة زمانها حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة(٢) من بيت حاكم تربت على الأخلاق، ويقول ابن بسام وأما ذكاء خاطرها وحرارة نوادرها آية من آيات خاطرها(٣).

عاش ابن زيدون مع غادة الأندلس ـ ولادة ـ أجمل أيام العمر في أماكن عدة، وفيها سجل تجربته الفنية في تشكيل المكان، وتمثلت تلك التجربة في تعاطف روحي بين الشاعر والطبيعة التي كانت مسرحا لحبه، فالطبيعة وشاعرنا إلفان لا يفترقان، والحب عنده أساس لتعلقه بالطبيعة، فيجعل الشاعر لحن المناجاة سبيلا إلى تشخيصها والارتماء في رحابها وهو بهذا يقترب من بعض شعراء الرومانسية الذين صوروا حبهم في أحضان الطبيعة ورشفوا في خمائلها الحب والحنان(٤).

وقد كانت حدائق قرطبة وبساتينها مرتعا لحبهما.. وفي خمائلها أخذا يتساقيان كوؤس الهوى ويقطفان الزهور ولانعلم أهي زهور الرياض أم زهور الخدود؟!

وقد شاركت حدائق الزهراء ورياضها الجميلة هذا الحب الصادق وقد تركت في نفس الشاعر آهات وحسرات بعدما حل الفراق وشطت به النوى.

---

(١) بغية الملتمس ، احمد بن يحيى الضبي : ص٥٣١ .
(٢) نفح الطيب ، احمد بن محمد المقري ، ج٢ : ص٥٦٣.
(٣) الذخيرة(القسم الاول) ج٣٧٨/١.
(٤) في الادب الأندلسي ، د. جودت الركابي ، ص٢٠٢.

على أن أيام هذا الحب الصادق لم تدم طويلا، بسبب الجفوة التي حصلت بين ابن زيدون وقد تعددت الروايات في سبب هذه الجفوة، وأبرزها الغيرة التي لعبت بقلبها من جاريتها، بعدما سأل ابن زيدون جاريتها (عتبة) اعادة الغناء في مجلسها بغير اذنها ولحظت منه بعض الميل الى هذه القينة فكتبت اليه :

لو كنتَ تُنْصِفُ في الهَوى ما بينَنا

لمْ تَهْوَ جاريتي ولم تَتَخيرَّ

وتركتَ غُصْناً مُثمِراً بجمالـهِ

وجنحتَ للغُصْنِ الذي لمْ يُثْمِرِ

ولقد عَلِمْتُ بأنَّني بدرُ السَّما

لكن دُهِيتُ لِشِقْوتي بالمُشْتَرِي(١)

والغيرة عند النساء امر طبيعي لأنها جزء من شخصية المرأة وهي ايضا دليل على حبها.. وقد نجد بعض النساء يتصرفن وكأنهن لا يمتلكن هذه الصفة وهذا نوع من الذكاء فهي تعاني من الم الغيرة ولكنها تخفي ذلك كي لاتخسر الحبيب ... فقد تلازم الغيرة بعض الصفات التي تضخم من حجمها ابرزها :

١. الغيرة ودلال المرأة .

٢. الغيرة وكبرياءها.

٣. الغيرة وقوة شخصيتها .

٤. الغيرة وجمالها.

٥. الغيرة وتصرفات الرجل.

(١) ديوان ابن زيدون [شعر ولادة]ص٥١-٥٢.

وقد اجتمعت كل الصفات السابقة في شخصية ولادة فظهرت غيرتها بشكل مرضي ولكن ليس عضالا،وكان بالامكان معالجته ولكن تصرفات ابن زيدون مع جاريتها ودور الوشاة والحاسدين والظروف القاسية التي احاطت بحياتهم العاطفية كلها عوامل ساعدت على وقع الجفوه وانقطاع حبل الوصل[1].

وبين ماخسره شاعرنا من مكانة سياسية رفيعة عند ابن حزم وما فقده من مكانة عاطفية في قلب غادة الاندلس ((ولادة)) عاش التمزق النفسي والاضطراب الذاتي و((طوى الشاعر شطرا من حياته، مشردا عن وطنه،نائيا عن اهله، مفارقا أحبابه، فأمتزج في فنه الحنين بالشجن، والتقى الالم بالامل، وتزاحمت في نفسه الذكريات مرددة هذه الانات))[2]

وقد استدعى ابن زيدون تلك الأمكنة بوساطة خياله ليملئ حاضره المؤلم الحزين وليداوي جراحاته بالذكرى التي تشبع رغباته التي بقيت دون إشباع في الحياة الواقعية.

فهذا المكان تبنيه الذاكرة بما تخزنه من صور وعليه فأنه يكتسب بعدا زمنيا مزدوجا[3] الزمان الماضي الذي عاشه الشاعر في ذلك المكان والذي يمثل له صورة السعادة والأمل واللقاء الجميل والزمان الحاضر الذي يمثل التعاسة والبأس والفراق المرير وبين هذين الزمانين تتوسط الذكرى فهي الجسر الذي يوصل الحاضر بالماضي لتحقيق لذة الإشباع الخيالي[4]. وهنا نستطيع أن نلمس حركة الزمن في ضوء ما تسقطه على مجرى الأحداث من حالات شعورية ولا شعورية[5] . وعلة ذلك تكمن في ارتباط الزمن النفسي بكل من الذاكرة الإنسانية وما تخزنه من صور

(١) وجهة نظر في حب ولادة ،د.هناء جواد، ص١٧٠. (بحث)
(٢) الديوان:١٦٥.
(٣) ينظر : جماليات المكان ، د. اعتدال عثمان ،ص٩٤.
(٤) ينظر : شعر الحب في العصر الاموي ، د.هناء جواد ، ص٥٤.
(٥) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعيد عبد العزيز ، ص٣٥.

الماضي والحالات الوجدانية وبمعاناة الذات الإنسانية بأنواع الحيرة والضياع والقلق، وما تسقطه على الزمن يترجم إلى صور أبداعية خلاقة كما ترى عند الشعراء [(١)].

وقد أستحضر ابن زيدون الماضي وأيامه الجميلة في الزهراء بذكرى مشتاق هزه الهوى لتلك الرياض فوجد كل شيء حوله يثير الذكرى. فقال: [(٢)]

كلٌّ يَهِيجُ لنا ذِكْرَى تُشَوَقُنا	إليكِ، لم يَعْدُ عنها الصَّدرُ أن ضاقا
لاسَكَّنَ اللهُ قلبا، عنَّ ذِكْرِكُمُ	فلم يَطِرْ بجناحِ الشَّوقِ خَفَاقا
لوشاءَحَمْلي نسيمُ الصّبحِ_ حينَ سَرَىـ	وافاكُمُ بفتىً اضناَهُ مَا لاقى
يومٌ، كأيَّام لذاتٍ لنا انْصَرَمَتْ	بِتْنَا لها . حينَ نامَ الدهرُ . سُرَّاقا
لوْ كانَ وَفَّى المُنَى . في جمعنا بكمُ .	لكان من اكرم الأيّام اخلاقا

تبدأ الذكرى بالتحرك الزمني في النص لترسم صورة الماضي بكل تفصيلاته المكانية، فلو عدنا إلى مطلع القصيدة الذي يحدد المكان {إني ذكرتك بالزهراء مشتاقا}. والذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمطلع النص هذا ((كل يهيج لنا ذكرى تشوقنا)) أي أن مجالي الطبيعة تهيج فينا الذكريات الماضية فتتوقد وتحتشد حتى يضيق الصدر عن استيعابها.

أذن التحرك الزمني في النص كان يسبح في فضاء الانفعالات الوجدانية والمعاناة النفسية التي جسدتها الذكرى وعبر عنها الشوق والحنين لتلك الأمكنة.

أن التحرك للماضي جاء من خلال إصرار الشاعر على الاحتفاظ بالصور التفصيلية لذلك اللقاء بين ((أنا / أنت)) في ((الزهراء)) والذي كان له اثر كبير على مخيلة الشاعر الذي رسم صورة المكان والزمان ولونها بتلك المشاعر الصادقة والخيالات المبدعة ، كتلوين الفنان لوحاته. ((فالصورة الشعرية عمل فني يشير إلى عظمة الخيال المبدع الذي يبعثها من الذاكرة إلى العاطفة السائدة التي تلونها))[(١)]

(١) ينظر : الزمن في الادب ، هانزميرهوف ، ترجمة اسعد مرزوق ، ص٨١.
(٢) الديوان:١٧٣.
(١) الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ،عبد الحميد جيدة ،ص٣٦٤.

بحيث تصبح الصورة قادرة على أن ((تمنح شكلا معينا لحالات الفكر بل لكل ما يحس به الشاعر من تداخل بين الفكرة والعاطفة))[٢] بحيث يخلق من محبوبته رمزا للطاقة الكونية، أما الحب، فهو رمزللخلق والتجديد وانبعاث الحياة[٣].

والنص وضعنا أمام لوحة تعبيرية أبداعية تضم مجموعة من الرموز كل رمز يفتح لنا أفاقاً في فضاء شعري فسيح يضم المكان والزمان، ((كل يهيج)) هذه العبارة التي مزج فيها المكان بالزمان وما احتويا من أسرار لم يعد عنها الصدر أن ضاقا . وهنا يبدأ الشاعر بالالتفات نحو ثنائية ((الحركة والسكون)) التي تجسد ظاهرة ((الحياة والموت)) ضمن الإطار العام لثنائية ((اللقاء والفراق))، وقد يكون الطرف الأول من كل الثنائيات يجسد الماضي بينما يأخذ الطرف الثاني منها الزمن الحاضر وبه تكون الحركة هي سبب الوجود واصله [٤]. أي أن التحرك نحو الماضي بالذكرى طريقا للخلاص من ((السكون)) الذي يجسد حالة ((الفناء)).

فالمحرك الأساس في هذا النص يلعبه ((التحرك)) كونه يمس ((المكان والزمان والرؤيا)) وتأخذ الذات الدور نفسه من أفعالها المتضمنة للسكون والحركة. ((يهيجْ، لاسكنَّ، يطر، بجناح، خفاقاً، حملي، نسيم الصبح، حين، سرى..)) هذه الألفاظ تنقلنا إلى هناك في زمان ما ومكان له أبعاد جغرافية مادية، أما في هذه اللحظة - لحظة الإبداع - فأن الذات تصب تأثيرها على هذا المكان فتختلف الدلالة للأشياء باختلاف موقفها من خلال رؤية الشاعر فيأخذ المكان بعدا حلميا تتمنى النفس الرجوع إليه[٥].

إن العلاقة بين الإنسان والمكان تتم وفق قانون الفعل ورد الفعل، إذ بقدر ما يؤثر المكان ويحفر في الإنسان خصائصه وملامحه فأنه ينحفر بالإنسان وفعاليته المستمرة، وهكذا يتفاعل الحدان على وفق علاقة جدلية مستمرة، وتظهر للمكان

---

(٢) نقد الحداثة ، د. حامد ابو احمد ، ص١٤٢ .
(٣) الثابت والمتحول ،ادونيس ،ص٢٥٣ .
(٤) ينظر: الحركة والسكون ، علي فهمي ، ص١٧ .
(٥) ينظر: محاضرات د. هناء جواد على طلبة الدكتوراه للعام الدراسي ٢٠٠٥ – ٢٠٠٦ ، مادة تحليل نص ادبي. .

وظيفة فنية دلالية متصلة اتصالا وثيقا بالبعد الفكري للموضوع ويستلهم الشاعر ما يعتمل في وجدانه وعقله من مشاعر وأفكار في رسم أبعاد المكان بشكل معين[1].

وقال:

أَذْكَرْتِنِي سالِفَ العيش الذي طابَا   يا ليت غائبَ ذاك العهدِ قد آبا[2]

إذْ نحنُ في روضةٍ . للوصل . نَعَّمَها   من السّرورِ غَمامٌ فوقَها صَابا

إني لأعجَبُ من شوقٍ يطاوِلُني   فكلّما قيل فيه: (قد قَضَى) ثابا

يبدأ النص بالفعل((اذكرتني)) وهو قناة واصلة بين زمانين ((الماضي / الحاضر)) ليعرف عن طريقه الحركة وفعلها، هذه الحركة التي تحولت إلى أمنية تريد الذات المغتربة حضور ذلك العهد الذي غاب في الحقيقة لكنه موجود بداخلها ((يا ليت غائبَ ذاك العهد قد آبا)) ثم تتوحد الذات مع المكان ((إذ نحن في روضة)) والذات هنا هي الجوهر وحقيقة الوجود المطلقة[3] وهي الإنسان ككل بوصفه فاعلاً فكرياً وانفعالياً ومعرفياً، فالإنسان وجود حي متغير، كائن واعي يعبر عن نفسه في جميع نشاطاته، انه يصنع نفسه ويحقق ذاته في هذه النشاطات ووحدته وشعوره بالأنا[4].

أن شاعرنا قدم في نتاجه الشعري رؤيته لذاته، فلقد استأثر الانسان ((أنا / الأخر)) كل وعيه الشعري فربط بين الزمان والمكان وتفاعلت الأحداث حتى تمكنت من ذاته فغدت واحدة. قال: [5]

تَذكَّرتُ أيامي بها، فتبادرتْ   دموعٌ، كما خانَ الفريدَ نظامُ

---

(١) ينظر: ملامح المكان في قصيدة الحرب القصيرة في العراق ، د. مؤيد اليوزبكي ،ص١٦٦ .
(٢) الديوان : ١٤٢ .
(٣) ينظر : طريق الفيلسوف ، جان فال ، ترجمة احمد حمدي محمود ،ص١٢١ .
(٤) ينظر : الوجودية في الجاهلية ، فالتر براونة، ص٢٥٢ـ٢٥٤ .
(٥) الديوان:١٨١ .

لقد احبت الذات هذا المكان وتود الرجوع اليه ((تذكرت أيامي بها)) أي قرطبة وقد صاغ هذا النص وهو بعيد عنها فتساقطت دموعه مع الذكريات كما تتساقط حبات العقد. وهذه الصورة الشعرية ((تحاول نقل التجربة باعتبارها خلقاً فنياً جديداً للواقع من خلال اعتمادها على دلالات بنائية تقوم على التناسب والتقارب فيما بينها وتستمد وجودها من موضوعات حياتية يعايشها المبدع وتجسد تجربتها من خلالها . فيتصل بها من مستويات ادراكية مختلفة يعتمد على الادراكين الحسَي والعقلي. ولعل الإدراك الأول هو الذي يسيطر على مجريات التصوير الفني أو الشعري لدى الشعراء عند نقلهم لتجاربهم الذاتية))(١)

فالزمن هنا ياخذ صفة الاستمرارية والديمومة ((فيصبح الماضي حاضرا،ويحل الحاضر في الماضي))(٢)

تذكرتُ أيامي بها ←——— فتبادرت دموعُ ←——— كما خان الفريدُ تظامُ

ولقد استحضر الصورة الخيالية التي اراد أن يصورها وعقد علاقة بين المشبه والمشبه به، ((فتبادرت دموعُ)) مشبه ((كما خان الفريد تظامُ)) المشبه به، وجه الشبه التساقط المنتظم السريع، وهذه الصورة لم ينقلها الشاعر من الطبيعة كما هي، بل ادخلها في جهاز تشكيلة ، فتكون الصورة لفكرته وليس لذاته الحقيقي(٣). بل لذاته المغتربة التي تعاني ألم الفراق وهي تعيش بعيدا عن قرطبة الغراء.

وقد رأى الشاعر القصور الملكية الباذخة بالزهراء وهو بعيد عنها فقال: (٤)

مَقاصِيرُ مُلْكٍ أشْرَقَتْ جَنَباتُها	فخِلنا العِشاءَ الجَوْنَ أثنائها صُبحا
يُمثِّلُ قُرْطَيْها لِيَ الوَهْمُ جَهْرَةً	فقُبَّتَها، فالكوكبَ الرَّحْبَ، فالسَّطْحا

(١) الصورة الشعرية في شعرعبيد بن الأبرص ((دراسة في المنبع الحسي والعقلي)) د. فايز عارف القرعان ، ص١٣.
(٢) الموضوعية والبنيوية دراسة في شعر السياب،د.عبد الكريم حسن،ص٢٣٥.
(٣) ينظر : الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، د. علي البطل ، ص٣١.
(٤) الديوان : ١٨٩ الجون : من اسماء الاضداد فتطلق على الابيض والاسود والمراد بها هنا الاسود.

محل ارتياحٍ يذكر الخلدَ طيبهُ إذا عزَّ أن يصَدى الفتى فيه أو يضحى[١]
هناك الجمامُ الزرقُ تندى حفافها ظلالٌ عهدتُ الدهر فيها فتى سمحا [٢]
تعرضتُ من شدو القيان خلالها صدى فلوات قد أطار الكرى ضبحا[٣]
ومن حملي الكأس المفدَّى مديرها تقحم اهوالٍ حملت لها الرمحا
أجلْ إن ليلي فوق شاطىء نيطةٍ لأقصر من ليلي بانةَ فالبطحا

يبدأ النص بتكريس حالة السكون السلبية التي تكتنف الذات ، وهي بعيدة عن المكان . الزهراء . ومن ثم تمزيقه لينطلق بحركة وهمية سريعة نحو الماضي فتحضر الأمكنة على الرغم من البعاد، وهنا تتوحد الذات مع الزمان والمكان لترسم صورة معبرة عن التجربة الإبداعية الجمالية الحلمية لتحقق ما عجزت عن تحقيقه في الواقع من طموحات[٤].

فالمسيطر على بؤرة النص بشكل عام ولافت للنظر هو قوة حضور الماضي الذي اختلط بالحاضر واستحال إلى قوة شعورية ذاتية شديدة التركيز. فهذه القصور الملكية المشيدة في الزهراء أضاءت رحابها وأشرقت سمائها، فأحالت الليل المظلم إلى صباح وضياء، وأن ((طول الليل أو قصره يقدم لنا وصفا ضمنيا لحالة الشاعر النفسية))[٥]وهو يمثل حالة السكون والهدوء إذ تراود الإنسان في أثنائه الذكريات والتجارب التي خاضها في حياته، وتعامل ابن زيدون مع الليل في هذا النص على أساس((التأثير والخوض في أعماق المشاهدات الحسية ليستجلي ماوراء الأشياء صورة عالمه النفسي،عالم المشاعر والأمنيات،عالم البحث عن الأمثل و الأفضل))[١]

(١) يصدى : يظما ، يضحى : يبرز للشمس .
(٢) الجمام : المياه الغزيرة .
(٣) شدو القيان : غناء الجواري .
(٤) ينظر : التفسير النفسي للادب ، عز الدين اسماعيل ، ص١٠٨ .
(٥) الزمن عند شعراء العرب قبل الاسلام ، عبد الاله الصائغ ، ص٢٧٣ .

(١) الليل في الشعر الجاهلي ، خليل رشيد فالح ،ص٥٣٢ .

فجاءت صورة من أعماق الذات التي تعيش رهبة الليل وحيدة بعيدة عن ديار الأحبة. ((يمثل قرطيها لي الوهم جهرة)) فلفظة ((الوهم)) تعني نفي الحضور ولفظة ((جهرة)) ثبت الحضور وما بين طرفي ثنائية ((الوهم / الجهر)) كان الشاعر يعيش ((الحقيقة / الخيال)) و((الحركة / السكون)) القائمة على أساس التغيير لأن الزمكان يعني الحركة ولإيضاح العلاقة نجد أن المكان يشكل فضاء لجريان الزمان فيه، أو هو الكون الذي في الأساس يخلق الزمان جراء حركة إجرامه[٢].

فلا حركة إلا في زمان ومكان لأن الزمان والحركة يحتويهما المكان.

ومن هنا فأن فلسفة الشاعر في الزمان أو إحساسه به لا ينفصل عن فلسفته للمكان وإحساسه به [٣].

لقد رأى ابن زيدون القصور وأبصر ملاعبها ماثلة أمامه، ورأى القرطين والقبة والكوكب الرحب والسفح فسرت نفسه وقرة عينه.

وأن الزهراء تذكره بجنات الخلد ، فلا يصيب الإنسان فيها ظمأ ولا يتعرض للفحات الشمس، وأن ربوعها تتدفق فيها المياه، وتُنَدّي الظلال جوانبها_ وقد أسعدنا الزمان بنفحاته فكأنه فتى سمح كريم_ وهذه صورة رائعة عقد فيها علاقة توافقية بين المشبه والمشبه به أفرزتها ذاته المحبة لمدينة الزهراء ومن هذا الحضور . الوهم . يعيش الشاعر الحقيقة في لحظة زمنية قاسية تتمزق فيها النفس التي تعيش هناك في مجالس الطرب وتستمع لصوت عذب من شدو القيان إلى حقيقة الأمر، فان أصواتاً مبهجة مخيفة تنبعث من جوف الصحراء تشبه عدو الخيل أطارت من عينه النوم.

أنها الحقيقة التي لا يمكنه الهروب منها فهذا الحضور الواهم . الحلم . لا يدوم طويلا وان الواقع مرير، والليل طويل. لقد حرمت من الائتناس بالنعيم ومعاقرة الشراب بديرة غلام جميل تفديه الارواح، وعرضت لاقتحام أخطاء حملت لها الرمح بدلا من الكأس.

---

(٢) ينظر : الفضاء الشعري عند السياب ، لطيف محمد حسن ،(بحث)،ص ١٠٠ .
(٣) ينظر : الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ،د. عز الدين اسماعيل ،ص١٢٦ .

وهنا استطاع الشاعر أن يميز مابين الحقيقة والحلم، وأن يفصل مابين الماضي والحاضر.. فيؤكد الحدث بلفظة ((أجلْ)) ليقفل الدائرة.

نعم كانت ليالي أنسي على شاطئ نيطة ←قصيرة

اما لياليّ من اَ نه والبطحاء ← طويلة

وما بين ليل الأمس في شاطئ نيطة وليل اليوم في انه والبطحاء عاش الشاعر المأساة لتأكيد فعل التخير الحاصل في المكان مع تكريس لحظة الأسى الكبير للذات التي تعيش في عالم الذكريات(١).

وتشتد وطأة الليل على الشاعر المفارق، فيقف في خط المواجهة مع الليل الطويل فيحاوره برقة، قائلاً: (٢)

ياليلُ طُلْ لا اشتَهي	. إلا بَوصلٍ . قصَرَكْ
يا لَيْلُ طُلْ ، أو لاتَطُلْ	لابدَّ لَي أنْ أَسْهرَكْ
لو باتَ عندي قمَري	مابتُّ ارْعَى قَمَركْ
يا لَيْلُ خَبِّرْ ، إننَّي	أَلْتذُّ عنهُ خَبَركْ
باللهِ قُلْ لي: هَلْ وَفَى؟	فقالَ: ((لا بَلْ غَدَركْ))

عبر الشاعر في النص عن رؤيته من خلال الحوار الفني الذي أقامه بين ((أنا / الآخر)) أي((الشاعر / الليل)) والعلاقة هنا نسبية تحددها رؤيته الذاتية للمكان والزمان.

فالليل في أطار الزمن النفسي يكون ليلا متعدد الالوان والسمات(١) والعرب تميز بين ليل الراقد وليل المحب الهائم فتقول: مأقصر الليل على الراقد أو: ليل

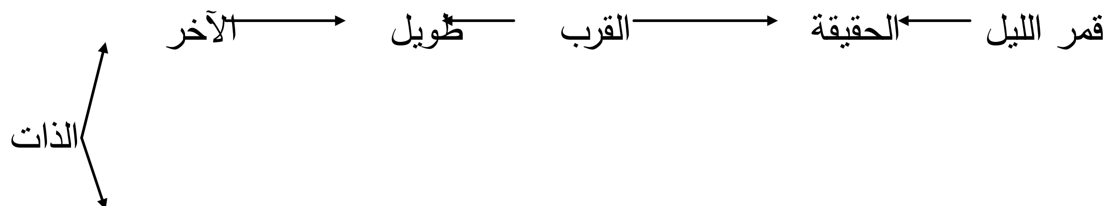
(١) ينظر : تداعي الذات عند ابن زيدون ،د. هناء (بحث).
(٢) الديوان : ٢٣٣ .
(١) الليل في الشعر الجاهلي ، خليل رشيد فالح ، ص٥٢٩ .

المحب بلا آخر[٢] وطول الليل وقصره يقدم لنا وصفا ضمنياً لحالة الشاعر النفسية. فالشاعر الخالي من الهموم يظن الليل قصيراً، والحزين يظنه طويلاً* .

لقد أفتتح الشاعر النص بالنداء ((يا، ليل وقد تكرر مرتين مع فعل الأمر ((طل)) وقد كرر الفعل بصيغة المضارع المسبوق بلا الناهية، ((لا تطل)) وكرره مرة ثالثة مع فعل الأمر ((خبرْ)) وبعد هذا اليأس الذي جسده الحوار والنداءت المتكررة يلجأ ابن زيدون إلى إسلوب القسم على الليل ((بالله قل لي)) ثم الاستفهام بـ ((هل)) وقد جاء الجواب، بالنفي وكان مبعثه الذات التي تعاني الغدر من الأحباب.

ولا يخفى ما للحوار وتكرار الأساليب البلاغية من دور في إضفاء نغمة موسيقية وإيقاع على النص في موسيقاه الداخلية وحركة النص ـ ومما زاد في إيقاعه المجانسة الصوتية في أبياته ((قصرك، أسهرك، قمرك، خيرك، غدرك)) التي يوحي فيها ترديد صوت الراء والكاف الذي يكون تجانسا صوتيا في الحروف الأخيرة التي تنتهي بها الأبيات، وبذلك يتشابك الإيقاع مع النغم فتتصاعد الموسيقى الداخلية، وإذا كانت الفواصل على رنة واحدة وحرف موسيقي واحد كانت الموسيقى المنبعثة عنها اكمل واقل ما يشترطه التوازن ، ان تكون الفواصل على رنة واحدة ، وبهذا وحده يقع التعادل والتوازن))[١].

وقد ظهرت في النص قدرة الشاعر الإبداعية في كيفية خلق الحوار الفني الذي نلمح فيه التتابع وقصر الجمل وسرعة الحركة دون اسهاب. ليرسم لوحته الليلية بريشة فنان مبدع، فلم يكن قمرٌ واحد بل أثنين هما:



(٢) التمثيل والمحاضرة ، الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل ، ص٥٩ .
* وقد اشار القالي في أماليه الى هذا المعنى النفسي للزمن فأوضح بأن طول الليل عند الشاعر مهلهل بن ربيعة كان بسبب قتل اخيه وقد كان ليله قبلها قصيراً.
ينظر : الامالي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي، ١٢٩/٢ .
(١) الاسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين اسماعيل، ص٢٢٢ .

قمر الشاعر ← الخيال ← البعد ← قصير ← أنا

إن المكان هنا يتمتع بأهمية سيميائية في تشكيل الحوار عبر تداخل زماني، توحدت ذات الشاعر مع الموضوع من خلال الأفعال ((طلْ، اشتهى، تطل، بان، بثٌّ، خبر، قل، وفى، قال)) التي تدل على حضور الذات، فهي تتحدث عن الليل وما تعطيه هذه اللفظة من دلالة على الاتصال والانفصال لتأكد الصلة بين ذات الشاعر والموضوع.(٢)

وفي قصيدة ليله وصال تتوحد ذات الشاعر بالموضوع ويحدث تداخل زماني بين طرفي ثنائية ((الماضي / الحاضر)) وتداخل مكاني بين طرفي ثنائية ((المكان في الماضي / المكان في الحاضر)) ضمن دائرة ((الحقيقة / الخيال))

إذ يقول: (٣)

زارني . بعد هجمةٍ . والثُّريا   راحةٌ تَقْدِرُ الظلامُ بشبرِ
والدُّجى . من نجومه . في عقودٍ   يتلألأن من سماكٍ ونسر
تحستب الأفق بينها الازورداً   نثرت . فوقه . دنانير تبر
يالها ليلةً ! تجلى دجاها   . من سنا وجنتيهِ . عن ضوءِ فجر
قصرَ الوصلُ عمرها ، وبودى   أن يطولَ القصيرُ منها بعمري

ونلحظ إن الشاعر من خلال نصه . يبدأ بالفعل الماضي ((زارني)) والذي يحمل دلالة ((أنا / الأخر)) وما حدث بينهما في زمان مضى ومكان محدد، وقد خضعت شعرية الصورة هنا إلى تحولات الشكل من الكلي إلى الجزئي، ويحكم هذه التحولات منطق حكائي درامي .. استخدم فيه الشاعر آلية التضاد الاتجاهي والمتمثل بـ ((السماء /الأفق)) أمكنة عالية ((الثريا ، النجوم ، السماء)) في مقابل أمكنة واسعة ((الأفق)) ليعكس من خلالها الفعل المؤدي إلى الحركة بعد السكون التي اشارت إليه

(٢) تداعي الذات عند ابن زيدون ،د.هناء(بحث).
(٣) الديوان : ١٣٩.

لفظة ((هجمةٍ)) وما جاء بعدها من ألفاظ وهي وسيلة التعبير عن التجربة الشعرية، والركيزة الأساسية التي تبنى من خلال اللغة .ومن هذه الألفاظ تتكون التراكيب التي تحمل الدلالات داخل السياق الشعري والذي يعطيها الوضع الطبيعي من الجمله[1].

وعليه فقد تكونت مجموعة صور إشعاعية إيحائية، لتعبر عن إحساسه المرهف وقدرته الإبداعية في رسم الصورة الفنية، ويرى الدكتور نعيم اليافي أن في ذلك عبقرية فنية إذ يقول ((نميل إلى الظن بأن عبقرية الفنان تكمن أساسا في هذا الإيحاء، أو ترجع إليه في اصل عمدها إذ مادامت مهمته أن ينشئ علاقات وتركيبات جديدة ونضرة باستمرار ويوجد كيانات لها أغوارها، ملأى بالارتباطات، فأن الإيحاء دائما يبقى هدفا يسعى إليه، صحيح أن العمل الإيحائي يثير في النهاية لدى المتلقين وحتى لدى المتلقي الواحد أجواء متعددة مفعمة بالمنبهات إلا أن هذا هو عينه موطن البراعة لأنه ملمح من ملامح الفن العظيم))[2].

وبهذا التشكيل الإيحائي وصف ابن زيدون ما حدث في تلك الليلة فصرخ قائلاً ((يالها ليلةً !)) هذا النداء الذي مثل أعلى درجات الوضوح السمعي ليؤكد الحدث..

يالها ليلة ! ←——— تجلى دجاها ———→ من سنا جنتيه عن ضوء فجر

يالها ليلة ———← قصر الوصل عمرها ———→ وبودى أن يطولَ

فالمكان متعلق أساسا بما حدث في تلك الليلة، فإذا كان هكذا فأن صورة المكان الجيد تعد منطلقاً لبناء فضاء النص إذا كان المكان أساسيا[1]. أو كعنصر من عناصره، ((والمكان الذي كان الوعاء الذي يحوي لنا الإحداث . أصبح جزءاً من الحدث... فهو وسيلة لا غاية تشكيلية، ولكنها وسيلة فاعلة في الحدث، ووسيلة محتوية على تاريخية الحدث))[2] وهذه الوسيلة فيها وقع الحدث وتفاعلت عناصرها معه، فلكل منها ذكرى تعيد استذكاره لذلك أصبحت جزءاً متفاعلاً مع الحدث،

---

(١) ينظر : دفاع عن البلاغة ، احمد حسن الزيات ، ص٩٦-٩٧ .
(٢) تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نعيم اليافي، ص١٠٥ .
(١) ينظر : مقدمة دراسة المكان في العمل الروائي ، احمد زياد محبك ، ص١١٠ .
(٢) الرواية والمكان : ياسين النصير ، ص١٨.

والإنسان من خلال حركته في المكان يرسم جمالياته وهو بدون الإنسان قطعة جماد ، ليس فيها حياة ولا روح [٣] والإنسان يضفي عليه معالم الحياة لحركته بين أجزائه.

وقد لا نغالي إذا قلنا أن ابن زيدون من الشعراء المتميزين بارتباطهم بالمكان الذي يحمل طابعه الذاتي النفسي، لذا كان نتاجه الفني هو نتاج شخصية الفنان التي تعبر عن عواطفه ومشاعره[٤].

لقد مر ابن زيدون بظروف صعبة خلقت منه فنانا مبدعاً ويرى د. جودت الركابي إن الميزة التي تبدو في أسلوبه هي ((الفن)) فهو شاعر فني قبل أن يكون حكيماً أو فيلسوفاً أو غواصاً على المعاني أو وصافاً،وهذه الخصائص الفنية تتجلى في ديوانه على اصدق صورة أبداعية.وقد دل ذلك على براعته وقدرته على تجسيد الأفكار في التجربة الجمالية.[١]

قال: [٢]

ليت شعري! والنفس تعلم أن ليـ ... سَ بمجدٍ على الفتى: ((ليت شعري))
هل لحالي زماننا من رجوعٍ؟ ... أم لماضي زماننا من مَكَرٍّ[٣] ؟
أين أيّامُنا ؟ وأينَ ليالٍ ... كرياضٍ لَبِسْنَ أفوافَ زَهْرِ؟
وزمانٌ كأنما دَبّ فيه ... وَسنٌ، أو هفا به فرطُ سُكْرِ[٤] ؟
حينَ نغدو إلى جداولَ زرقٍ ... يتغلغلن في حدائقَ خُضْرِ
في هضابٍ مجلوة الحسن حمرٍ ... وبراثٍ مصقولةِ النبت عفرٍ[٥]
نتعاطى الشمول مذهبة السرْ ... بالِ، والجوُّ في مطارف غُبْرِ[٦]

(٣) غائب طعمة فرمان روائيا، د. فاطمة عيسى جاسم ص١٥٥.
(٤) التشكيلات الثنائية المكانية في شعر ابن زيدون ، د. هناء جواد ص (بحث).
(١) ينظر: في الادب الاندلسي،د.جودت الركابي،ص٢١٤.
(٢) الديوان : ٣١٦، ليت شعري : ليتني اعلم .
(٣) مكّر : رجوع
(٤) وسن : نوم : هفا : مال .
(٥) براث : جمع برث وهي الارض السهلة اللينة من غير بلل وهي أسهل الارض واحسنها.
(٦) المطارف : أردية من خز مربعة لها أعلام والمعنى : نتعاطى الخمر المذهبة في اليوم المطير .

إذ يتجلى في النص تخبط الذات وعدم معرفتها للصحيح من أمرها عن طريق طرح الأسئلة العديدة، فهل للزمن الماضي من رجوع؟ هل تعود أيامنا الحلوة ؟ وهل ترجع ليالينا السالفة؟ أين تلك الأيام الجميلة؟ وأين ليالٍ كرياض لبسن أفواق زهر؟...

لقد تأرجحت ذات شاعرنا بين ثنائية ((الماضي / الحاضر)) وقد تمسكت بالماضي وهو زمن محصور بين قطب البداية والنهاية، والشاعر عندما يقف عند الماضي عن طريق الذكرى، يستحضر أيامه الخوالي ومرابع صباه ويقارنها مع حاضره المأساوي فيستخرج الذات من الماضي من اجل إنقاذ الحاضر المشلول بالذكرى[٧] وهي ((لا تُعَلَّمُ دون استناد جدلي إلى الحاضر، فلا يمكن إحياء الماضي إلا بتقيده بموضوعة شعورية حاضرة بالضرورة.. ولا بد لنا من معاودة وضع ذكرياتنا، شيمة الإحداث الفعلية، في وسط من الأمل، والقلق، في تماوج جدلي. فلا ذكريات بدون هذا الزلزال الزمني..حتى في هذا الماضي الذي نعتقده ممتلئاً فإن الذكرى .. تعيد وضع الفراغ في الأزمنة غير الفاعلة، إننا حين نتذكر بلا انقطاع، إنما نخلط الزمان الغير المجدي وغير الفعال بالزمان الذي أفاد وأعطى، ولا تكون جدلية السعادة والتعاسة مستحوذة إلى هذا الحد إلا عندما تكون متوافقة مع جدلية الزمان، وعندئذ نعلم أن الزمان هو الذي يأخذ وهو الذي يعطي))[١].

لقد حصر ابن زيدون النفس في دائرة مغلقة ضمن ثنائية ((المفتوح / المغلق)) ليت شعري! ((النفس تعلم)) ⟵ ليت شعري

وهذا يجسد ثنائية ((الأمل / اليأس)) فهناك نفس تعلم أن لا أمل في الرجوع إلى ذلك المكان عبر الامتداد الزمني ، ولكن الذكرى التي استحضرت الماضي تعطي النفس الأمل، لذا نجد الشاعر بعد هذه التساؤلات الكثيرة يركن لوصف المكان ((جداول زرق، حدائق خضر، هضابٍ مجلوةِ الحس، وبراثٍ مصقولة البنت غبر))

(٧) ينظر : الشعر العذري في ضوء النقد الحديث ، محمد بلوحي ، ص٦٩ .
(١) جدلية الزمن . غاستون باشلار ، ترجمة احمد خليل ،ص٤٧ .

وعبر هذا المشهد البصري يتراءى لنا وجه الوضوح والدقة بامتزاج عناصر الصورة امتزاجاً يتجاوزالمدركات البصرية التقليدية وينفتح على طاقة بصرية أعمق(٢). فالصورة تجسيد لموقف فكري شهم في بلورته، لأن دورها توضيح لحالات أو تعميق الإحساس بالأشياء(٣). وقد أخذت الدائرة بالاتساع مبتعدة عن ((الانغلاق)) لتعلن ((الانفتاح)) بأتجاهات عدة عبر حركة سريعة نحو المكان.

وقال: (١)

إن كان عادكمُ عيدٌ ، فَرُبَّ فَتًى بالشوق قد عادهُ . من ذِكْرِكمْ . حَزَنُ
وأفردتتهُ الليالي من أحبَّتِهِ فبات ينشدها . ممّا جَنَى الزَّمنُ:
((بِمَ التَّعَلُّلُ ؟ لاأَهْلٌ ! ولا وطنٌ ! ولا نديمٌ ! ولا كاسٌ ! ولا سكن !))(٢)

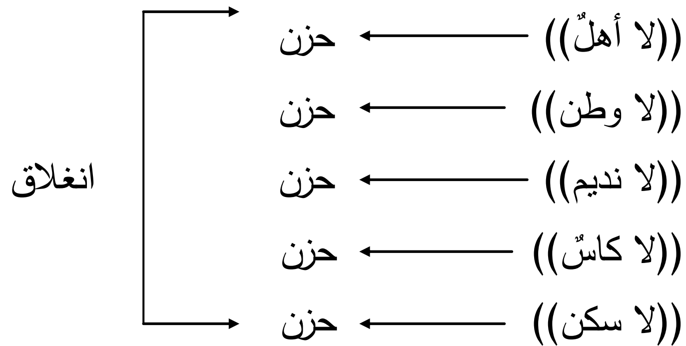
فالمسيطر على بؤرة النص بشكل عام ولافت للنظر هو الحزن والتشاؤم بسبب فقدان المكان الذي يضم الأهل والأحبة ، ويرمى باللوم على الزمن الذي فرق بينه وبين أحبته.

لقد وجه شاعرنا الحديث إلى الآخر ((الحبيب)) الذي يعيش في موطنه بسعادة وهناء في أيام العيد السعيد ويعقد مقارنة بين ((أنا / الأخر)) في لحظة قاسية من الزمن. ثم ينصرف إلى الإخبار، فنحن نظن أنه يتحدث إلى شخص خارجي لكن الخطاب موجه إلى ذاته ((والشخص هو المعنى الخارجي، والعلاقات اللغوية الداخلية التي تحدد الضمير والعلاقات الخارجية هي التي تحدد الشخص))(٣)

(٢) ينظر : شعرية الحركة السردية د. محمد صابر عبيد ، ص٥١ .
(٣) ينظر : دير الملاك . دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، محسن اطيمش، ص٢٦٢ .
(١) الديوان : ١٩١ .
(٢) التعلل : التسلي والعزاء، السكن ما يسكن إليه الانسان من اهل ومال وغير ذلك ، ويطلق في الغالب على الزوجة أو الحبيبة .
(٣) أقنعة النص ، سعيد الغانمي ،ص٥٠.

والشاعر بأسلوبه اللغوي هذا يريد أن يبين حاله المؤلم من خلال الحديث عن المخاطب ولكن المقصود من الكلام هو الشاعر نفسه.

لقد كرر الشاعر ((عادكم)) و ((عادةُ)) مع لفظة ((عيد)) التي تحمل حرفين من حروف ((عادكم)) ليضفي على النص إيقاعا متناغماً ناتجاً عن التكرار الدلالي للأفعال والأسماء، فضلا عن استخدامه الموفق لأسلوب الاستفهام بـمَ التعلل؟ والإجابة بالنفي، وهو ((أسلوب نفي وإنكار))[٤] لكل ما يتبادر إلى ذهن المتلقي من احتمالات تسير نحو الانفتاح.



وعكس هذا كان في الزمن الماضي ، فعندما نرفع ((لا)) النافية لتثبت ما كان عليه الشاعر من مسرات في عالم مفتوح يتمنى اليوم الرجوع إليه.

أن تشكيلات المكان داخل إطار الحلم المتخيل تبقى أسيرة الانفعالات النفسية وأمنيات لاتحدها حدود.. يعلل الشاعر ذاته بها، ولكن في لحظة زمنية قاسية يصرخ بأعلى صوته طالباً الخلاص من واقعه المؤلم، هارباً إلى ذكريات عشعشة في ذهنه فيحضرها فوراً في حلم يقظة جميل.

وقد يسهم الحلم في نقل الشاعر الى زمن الحبيبة او مكانها او نقل الحبيبة الى زمن الشاعر ومكانه .[١]

---

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي ،ص٢٤٦ .
(١) الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام ،د. عبد الاله الصائغ ،ص٢٧٥

وقد نجح ابن زيدون في تحقيق هذا من خلال تجربته الجمالية.

إذ قال: (٢)

هَلْ لِداعيكَ مُجيبُ ؟ أم لشاكيكَ طَبيبُ ؟
يا قريباً حينَ يَنأَى حاضراً حين يَغِيبُ
كيفَ يَسْلوكَ مُحِبٌّ زانَه مِنْكَ حبيبُ ؟
إنَّما أنتَ نَسيمٌ تَتَلقَّاهُ القُلوبُ
قد عَلِمْنَا عِلْمَ ظنَّ هُوَ . لاشكَّ . مُصيبُ
أن سِرَّ الحُسْنِ ممَّا أَضمَرتْ تلكَ الجُيُوبُ

النص يحمل عنوان ((النائي القريب)) ثنائية ضدية ((البعد/القرب))ضمن اطار الثنائية الاساسية ((الحقيقة/الخيال)) والشاعر هنا واقع بين امرين لايجدي معهما الاختيار فالهجر واقع والاستفهام يكشف عن الم الشاعر وحيرته ((ان الشاعر في الاستفهام يكشف عن حيرة تغشاه انه يبدو وكأنه قد انتهى الى حقيقة ،او سلم بحقيقة،ولكن صوتا داخليا يطفو الى السطح قائلا له ،ليس ما انتهيت اليه صحيحا تماما ،ان هناك من يرى الامر على ما تراه ،وحتى لو كانوا يرون ما تظن انه صحيحا فإنه امر فادح الخسارة ان تسلم بمثل هذه الحقائق...))(١)

أن النص يكشف مكانه الحبيب في النفس التي تتأرجح بين ((الحقيقة / الخيال)) و ((القرب / البعد)) و ((الحضور / الغياب)) والتي تشير جميعها إلى المكان المعاش المتمنى الرجوع إليه.. إذ يطلق الشاعر زفرات الذات عن طريق الاستفهام

((هل لداعيك ←——— مجيب؟)) [أم] ((لشاكيك ←——— طبيب))؟

(٢) الديوان : ١٩١ .
(١) اساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، حسين عبد الجليل يوسف، ص١٢٩

فقد عادل بـ (أم) بين الطرفين ليؤكد الحدث . تمكن الحب من ذاته . فيصرخ بمناداته ولا يريد الجواب، بل يريد أيضا توكيد الحدث ليرسم أبعاد المكان

ياقريباً حين ← النأى → ثبوت المكان ← خيال

حاضراً حين ← يغيب → ثبوت المكان ← خيال

كيف يسلوك ← محب → وثبوت الحب ← حقيقة

أنت نسيمٌ ← تتلقاه القلوب → ثبوت الحب ← خيال

قد علمنا ← هو مصيب → ثبوت الحب ← حقيقة

أن سر الحسن مما أضمرت → تلك الجيوب ← ((حقيقة + خيال))

وما بين الحقيقة والخيال والروح والجسد كانت إشعاعات الصورة الفنية تأخذنا عبر مدارات عديدة لتؤكد أن الشاعر لم يصف الجسد بل أشار إلى ما تضمنه تلك الجيوب من حسن وجمال ولكن كل ما سبقها يؤكد على الحب الروحي ((أنما أنت نسيمٌ)) بما تعطينا هذه العبارة من صورة نقية صافية منعشة للقلب انه ((نقطة لقاء بين مطلقية، الذهني وتعالية وبين محدودية الحسي، وما بين صعود المحسوس وهبوط المطلق تستظهر أشياء وتستقصي بسواها، وما بين الاستظهار والاستقصاء يحصل الدهش، وعن الدهش ينشأ الشوق، ويستدعي الشوق الذوق، وتمام ذلك كله، لذة وابتهاج بما نيل، وشوق جديد إلى مالم ينل))(١) لذا يتمنى العودة إلى ذلك المكان وتحقيق ما تتمنى النفس تحقيقه، ولكن الزمان فرق بينهما جسدياً ولكن بقيت الأرواح قريبة لدرجة أنه يجده قريباً رغم البعد المكاني وحاضراً رغم الغياب.

لقد نوع الشاعر في استخدام ادوات الاستفهام وهذا يشير إلى معاناة الذات التي فارقت الأحبة وعاشت طرفي ثنائية ((البعد المكاني / البعد الزماني)) إذ لايمكن الفصل بينهما. فهما الإيقاع الوجداني الذي ينم عن صدق الإحساس والقصيدة ((زمن

---

(١) العمل الادبي من المعنى إلى الشكل مدخل معرفي اسلامي ، عباس امير ، ص١١٨-١١٩ .

يتضمن ماهو أكثر من الزمن))[٢] والأكثر من الزمن هو التداخل الزمكاني مع الشعور والمضمون.[٣] وبهذا تكتمل الإبداعية المنبثقة من التجربة الذاتية.

قال: [٤]

أغائبةً عنّي وحَاضِرَةً معي   أناديك . لمَّا عِيلَ صَبْرِيَ . فاسْمَعِي
أفي الحقِّ أنْ اشْقَى بُحبِّكِ، أو أُرَى   حَريقاً بأنفاس غَريقا بأدْمعِي؟
ألا عَطْفَةٌ تَحْيَا بِهَا نَفْسُ عَاشِقٍ؟   جَعَلْتِ الرَّدَى منهُ بمَرْأًى وَمَسمَعِ

لا يزال يؤكد على المكان الخيالي الذي يدل على ثبوت الحدث وتمكنه من نفسه، فحضورها ((مكاناً وزمناً)) ملازم لذاته المحبة ، والنداء هنا يؤكد حاجته إلى وجودها الحقيقي . فالخيال ((يقوم على استحضار حقائق جزئية سبق إدراكها ثم مزجها وتلوينها وإبرازها في صورة منسقة متسمة في جملتها بالطلاوة والابتكار))[١] لقد اهتم ابن زيدون بالخيال الممزوج بالحلم المعاش . الذاكره . ليحقق ابتكارا في رسم صوره الفنية، لان البعض يظن أن الخيال مجرد استحضار صور بذواتها دون تغيير أو تبديل. ولكن الواقع أن هذا من عمل الذاكرة لا المخيلة[٢]. وعندما يمزج المبدع بين ما تخزنه الذاكرة وما يفيض به الخيال، يحدث الابتكار. والشاعر المبتكر ((هو الذي يرى الصور غير المرئية، بل هو الذي يبتكر الصور ، والابتكار لا يستمد عناصره من المنظور فقط، بل من المتصور والمفروض أيضاً، إن النظرة الداخلية هي التي يعتمد عليها الشاعر، وفيها مزيج معقد مخلوط من مناظر مرئية وغير مرئية ، شعورية ولا شعورية، وفيها خطوط وألوان وأصوات من كل ما تقذف به العاطفة، ومن كل ما ينبع في النفس من فكر وحلم وخيال))[٣].

(٢) زمن الشعر ، أدونيس ،ص٢١٣.
(٣) الرأي للدكتورة هناء جواد
(٤) الديوان : ٢٠٢ .
(١) ابن زيدون عصره وحياته وأدبه ، علي عبد العظيم ، ص٤٥١ .
(٢) الاصول الفنية للأدب ، عبد الحميد حسن ، ص٩١ وينظر : احلام اليقظة ص١٩٧ .
(٣) الاصول الفنية للأدب ، ص١٦٩ .

لقد اعتمد ابن زيدون الخيال التأليفي، فهو يفتن فيه أيما افتنان، فتراه يؤلف بين المعنويات والحسيات في براعة فنان. وحينما تسدل الأيام بينه وبين حبيبته الستار يهرع الى خياله، فيستدني به طيفها على بعد الدار، فيسعدان معاً بأشهى الأوطار(٤).

قال: (٥)

أسْتَوْدِعُ اللهَ منْ أُصْفِي الودادَ لهُ ... مَحْضاً، ولامَ به الواشي فلم أُطِعِ
إلْفٌ أَلذُّ غُرورَ الوَعْدِ، يصفحُ لي ... عنه ، ويُقنعُني التَّعليلُ بالخُدَعِ
تجلو المُنَى شَخْصَهُ لي . وَهْوَ مُحْتَجِبٌ ... عني . فما شئتَ من مَرأى ومُستَمَعِ
يابَدْرَ تِمَّ بدا في أُفْق مَمْلَكَةٍ ... فِراقَ مُطَلِّعاً من خيرِ مُطَّلَعِ
أفدي بدائع شكلٍ منكِ مُبْصِرَةً ... لِقتل نفسيَ . عمداً. اشنعَ البِدَعِ
تالله . اكْرِمِ ماأَمْضى اليمينُ به ... مالذَّ منْ دانَ في حُبِّهِ بالصِّدْقِ وَالورعِ .
لي قُرْبُ أُنْسٍ إنتِ نارحةٌ ... عنه، ولا ساغَ عيشٌ لستِ فيه معي

أن مثل هذا الخطاب يخرج النفس من حالة السكون إلى الحركة ومن المظلم إلى المضئ ومن المغلق إلى المفتوح ليرسم عالم جديد في لحظة زمنية قادرة على الخلق والإبداع . فالتجربة الجمالية إن لم تكن زمانية ((لافتقرت إلى كثير من الحيوية والإثارة))(١) و((التعبير الذي لا يلبس طابعاً زمنياً يتحول إلى موت))(٢) وينبثق من الزمن الاغتراب والوحدة والشعور بوحشة اللحظات ، فيهرب الشاعر من الحاضر إلى الماضي فيبكي أمسه الضائع أو يستشرق المستقبل بعد أن تنمحي من ذاكرته وطأة الحاضر عليه(٣).

---

(٤) ابن زيدون عصره وحياته ، علي عبد العظيم ، ص٤٥٦.
(٥) الديوان : ١٧٨ .
(١) النقد الفني ، دراسة جمالية وفلسفية ، جيروم ستولينتز ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، ص٩٤.
(٢) الأسس المعنوية ، عبد الفتاح الديدي ، ص١٦ .
(٣) ينظر : انتصار الزمن ، دراسة في اساليب معالجة الماضي في الفكر الاجتماعي ، محمد عبد الحسين الدعمي ، ص٦٨ .

فالإحساس بالزمن يكون إحساساً نفسياً خالصاً يقاس بوقعه على النفس ويمتزج الزمن الفكري في النص الأدبي ويولد موقفاً وجدانياً يقرره قوة إرادة الشاعر على التعبير عن حركة وجدانه في شعره(٤) فعبارة ((أستودع الله)) تحمل الدلالة المكانية والزمانية لفعل الرحيل الذي ضيق الفضاء الخارجي المسيطر على الذات وجعلها تعيش حالة انفصال وهي تبحث عن أخر بديل عنه، ونتيجة لمشاعر الوحدة والاغتراب بعد غياب الأحباب وهذا الانفصال يمنح الذات فسحة للحلم والخيال والتذكر ولم يعدّ بعد الدار له وجود ولم يعد للزمن الحاضر وجود أيضا فيتسع فضاء عالم الذات الداخلي لحضور ((الآخر)) الذي يفرض واقعا شعريا يجعله شريكاً ل((أنا)) في رسم صورة نفسية تنبض بالحياة لتؤكد لنا أنّ الرغبات المكبوته تنعكس في الأحلام وتتحقق في الخيال وأنها الدليل الأعمق على ما يشغل البال في اليقظة(١) وهنا يأتي نشاط المخيلة التي تأخذ من إكمال الجانب العاجز على المستوى الواقعي.

إن الذات تود الاتصال بالآخر والتوحد معه من خلال فضائها المكاني المتمنى الرجوع إليه ومن خلال حلم متخيل جميل، وظهر في عناصر عدة أبرزها:

عدم إطاعه الواشي ← وسيلة للخلاص من الانفصال ← اتصال

القناعة ولو بالخداع ← وسيله للتسامح ← اتصال

تجلو المنى شخصه وهو محتجب ← خيال ← اتصال

يا بدرَ تم يدا في أفق مملكة ← خيال ← اتصال

تالله ← قسم ← إثبات الاتصال

مالذ لي قرب ولا ساغ عيش ← اتحاد روحي ← إثبات الاتصال

فجاءت الحالة النهائية متمثلة بإثبات الاتصال نتيجة حتمية لثبوت الحدث وتمكنه من الذات . أي الحب . رغم بعد الدار.

---

(٤) ينظر : الشعر والزمن ، جلال الخياط ، ص٩ .

(١) ينظر: الحلم والحزن في الشعر العربي المعاصر،د.جورج طراد ،ص٥٢ (بحث).

المبحث الثاني

المكان الحلمي غير المعيش المتمنى الحصول عليه

وهو المكان الذي يصنعه الشاعر من نسيج خياله، ويتمنى أن يحيى فيه مع الآخر ((الحبيب)) بسلام دون وجود الوشاة والرقباء. فيحس بالأمان والاطمئنان والحماية وهذا المكان يرمز إلى فضاء عالم الذات الداخلي وعلاقته بفضاء العالم الخارجي ، بحيث تصبح هناك علاقة جدلية بينهما، ((حيث أن الإنسان يعلن دائما عن حاجته إلى إقرار وجوده والبرهنة على كينونته من خلال الإقامة في مكان ثابت سعياً وراء رغبة متأصلة في الاستقرار وطلب الأمن للذات))[١] ونستطيع أن نتبين هذا المكان في شعر ابن زيدون من خلال الأمنيات التي تملأ ذاته فيطلقها بأعلى صوته ((ألا ليت)) والتي تجسد المشهد المأساوي لعدم تحقيق الفعل، فالتمني يراد به استحالة تحقيق الغاية.

قال: [٢]

ألا ليتَ شِعْرِي هلْ أُصادِفُ خَلَوَةً ... لَديكِ، فأشكو بعضَ ما أنا واجدُ ؟
رَعى اللهُ يوماً فيه أشكو صَبابتي ... وأجْفانُ عَيْني . بالدُّموعِ . شَواهِدُ

أن النص يبين حاجة الشاعر إلى مكان بعيد عن البشر، يعيش به مع من يحب فيه ((خلوة)) من اجل أ، يشكو لها وجده وصبابته، وترى دموع عينه فهي شواهد على حزنه وآلامه.

إذ يتجلى في النص تخبط الذات وقلقها واغترابها وقد أشارت أدوات الاستفهام المتنوعة إلى هذا الاضطراب والقلق، كذلك تكرار الفعل ((أشكو)) مرتين من اجل تثبيت المعنى الذي يريد الشاعر إثباته وتأكيده.

(١) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص٥٣ .
(٢) الديوان : ٢١٣ .

وقال: [١]

لَحَا الله يوماً لستُ فيه بُملْتَقٍ مُحَيّاكِ منَّ اجل النوَى والتَّفَرُّقِ
وكيفَ يطيبُ العَيْشُ دون مَسرَّة ٍ؟ وأيُّ سرورٍ للكئيب المؤرقِ ؟

وقال: [٢]

تَرى المحبّينَ صَرْعَى في عِراصِهِمُ كفِتْيةِ الكهفِ، مايَدْرونَ ماَ لبِثوا

وقال: [٣]

أيتَ ُها النَّفسُ إليه اذهَبي فما لقلبي عنهُ من مَذْهبِ

والأبيات تدل على البعد المكاني والزماني بين طرفي ثنائية ((أنا / الأخر)) وأمنيات النفس المعذبة التي تتخيل وترسم وتلون لتعطي نتاجاً فنياً ابداعياً، وأن قضية الإبداع في الشعر هي قضية خلق البناء اللغوي القادر على الكشف الوجودي ذي الإيحاء المتجدد، ومن اجل ذلك لا تكون الألفاظ خارج سياق النص الأدبي سوى رموز لأشياء عامة ذات طابع تراثي، أو ذاتية خاصة ذات طابع ذاتي نفسي فردي، وإنما تكتسب دلالتها الفنية داخل ذلك الإطار اللغوي الذي نسميه سياق النص[٤].

لقد نجح الشاعر في تقديم الصورة الشعرية التي تعبر عن روحه وأحاسيسه فهي ((العبارة الخارجية للحالة النفسية))[٥] وهي ((تركيبة عقلية وعاطفية معقدة تعبر عن نفسية الشاعر وتستوعب أحاسيسه وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها))[٦].

(١) الديوان : ٢١٦ .
(٢) الديوان : ٢٢٣ .
(٣) الديوان : ١٤٨ .
(٤) ينظر : بلاغة العطف في القرآن الكريم ، دراسة اسلوبية ، د. عفت الشرقاوي ، ص١٥٥.
(٥) الصور البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، احمد علي دهمان،١ /٣٧٦ .
(٦) التفسير النفسي للأدب ، ص٦٦.

عاش ابن زيدون بعد فراق الأهل والأحبة محنة نفسية قاسية جعلته يشعر بالاغتراب الذاتي ويعيش ((الذكرى الدائمة الطويلة، تمنح هذا الشعر الذاتي لوناً يحببه إلى نفوسنا، ففيه الصدق، وفيه شئ أخر ليس بالأنين الممضي الذي اعتدنا سماعه من شعراء الغزل العذري، إنه بكاء ولكننا لا نسمع النحيب، ولا تعترينا الكآبة إنه شوق ولهفة، إنه شعر يرسم أجواء الماضي.. فخاصة غزل ابن زيدون في انه يرسم لك ذلك الجو الضاحك الآفل، فتتحسر عليه وتتلهف))(١).

ومن يقرأ نونيته يدرك حقاً أنها تعبر عن الحسرة واللهفة والأنين لانقضاء أيام الوصال ، وشكوى من الوجد المبّرح والألم القاس، وكانت عصارة نفس متألمة مقيمة على الحب، ولا تسلو ولا تنسى.

لقد وصف ابن زيدون في نونية الزمان في دائرة ثنائية ((الحاضر/الماضي)) كذلك المناجاة وإشراك الطبيعة في إحساسه ووصف محبوبته، ومقارنة الحاضر المقيم بالماضي الآفل وتأكيد الوفاء، وأمنيات النفس والتعليل بها، قد ظهر المكان المعيش المتمنى الحصول عليه بلوحة فنية تؤكد حالة اليأس وفقدان الأمل في تحقيق الرغبة الذاتية في اللقاء على ارض الواقع.

قال: (٢)

أن كان قد عَزَّ في الدنيَّا اللِّقاءُ ففي ... مَواقِفِ الحَشْرِ نلقاكمْ ،ويكفينا
كأننا لم نَبتْ، والوَصْلُ ثالثُنا ... والسَّعدُ قد غَضَّ من أجفانِ واشينا
سرَّان في خاطر الظّلْماءِ يَكْتمُنا ... حتّى يكادَ لسانُ الصُّبْح يُفْشينا
لا غَرْوَ فى أنْ ذكَرْنا الحُزنَ حين نَهَتْ ... عنهُ النُّهَى، وتركنا الصَّبْرَ ناسينا
إنّا قرأنا الأسى يوم النوّى سُوَراً ... مكتوبةً وأخذنا الصّبْرَ تلقينا
أمَّا هواكِ فلم نَعْدِلْ بمَنْهلِهِ ... شِرْباً، وإن كان يُروينا فيظمِينا
لم نَجْفُ أُفْقَ جَمَالٍ أنتِ كوكبُهُ ... سَالينَ عنهُ، ولم نَهْجُرْهُ قالِينا(٣)

(١) في الادب الاندلسي ، د. جودت الركابي ، ص١٩٨ـ١٩٩ .
(٢) الديوان : ١٧٢ .
(٣) قالين :كارهين.

ولا اختياراً تَجَنَّبْناهُ عن كَثَبٍ   لكن عَدَتنا - على كرْهٍ - عَوادينا[1]

لقد امتزج الموت في مشاعر ذلك الإنسان المرهق الحس الذي وجد في الحياة موتاً بسبب الفراق وفي الموت حياة في مواقف الحشر ولقاء الأحبة هناك...

لقد عزَّ على الشاعر أن يلتقي بالآخر ((الحبيبة)) في الحياة الدنيا بسبب الوشاة والحاقدين... فأخذ يبحث عن مكان أمين بعيداً عن هؤلاء فلم يجد في الدنيا سبيلاً للقاء، فأنتظر الموت، ففي مواقف الحشر يتحقق هذا اللقاء.

أن في هذا البيت تكثيف لملامح المأساة التي يعيشها ابن زيدون بعد أن حدث الانفصال ((الزمكاني)) ويكفي أن يكون هذا البيت لوحده لوحة فنية ترسم صورة الذات المعذبة ، التي تتمنى وتحلم ، وقد((يتكون الحلم من عنصرين أساسيين، فأما انه حلم بوصال كان . وهذا ما نسميه بالتواصل المدعي . واما انه حلم بوصال سيكون . وهذا ما سنطلق عليه اسم التواصل المتمنى))[2]. وهنا يمكن القول بأن ابن زيدون أخذ بطرفي هذين العنصرين ليحقق للذات رغباتها المكبوتة .فيدع في نتاجه الشعري لأن ((الشعر معنى لمن تشعر به النفس، فهو من خواطر القلب إذا أفاض عليه الحسن من نوره ، انعكس على الخيال ، فانطبعت فيه معاني الأشياء ، كما تنطبع الصورة في المرآة..))[3]

وفي هذا البيت حاول ابن زيدون التغلب على يأسه من لقائها في الدنيا بأن فتح لنفسه نافذتين الاولى: امل لقائها في الاخرة ،والثانية استحضار اجمل لحظات الماضي ، اذ لابدَّ من مقاومة اللحظة الراهنة، وهي لحظة عسيرة،بالاستعانة بلحظات الماضي أو المستقبل البعيد[4].

---

(١) المعنى انه اضطر الى فراقها مرغما على قرب دارها منه.
(٢) الموضوعية والبنيوية ، دراسة في شعر السياب ، د. عبد الكريم حسن ، ص٧٢.
(٣) وحي القلم ، الرافعي ،ج٣/ص١٧٦ .
(٤) قراءات في الشعر الاندلسي، أ.د صلاح جرار، ص٧٠.

وابن زيدون هنا لايقارن بين حاضر وماضي بل بين زمان دنيوي محدود وزمان أخروي مطلق فالزمن الحاضر حال دون لقائه بولادة، ولذلك فأنه يأمل بأن تجمع الآخرة بينهما في مواقف الحشر[١].

ويبدو أن الشاعر لم يبق أسير الانتظار للقاء يوم الحشر، فتحرك إلى الماضي واستحضر كل ذكرى جميلة جمعت بين ((أنا / أنتِ)) في مكان واحد والوصل ثالثهم والسعد قد غض من أجفان واشيهم وأصبح هو الرقيب الذي يحرسهم من عيون الآخرين.. أي سعادة تلك، واي مكان هذا الذي جمع بينهم وبين الوصل وقد أحاط بهم السعد من كل جانب..

وهنا عمد الى استدعاء صور الماضي الجميل وأبدع في تصوير اللحظات الجميلة معتمدا على الاستعارات الفائقة والعبارات العذبة[٢]

ان معاني النص تتحرك في دائرة البعد الزمكاني ، ولكن التحرك الزمني كان سريعاً ومضطرباً لأنها حركة شعور ((أنا)) نحو ((الأخر)) وليس حركة الكون، يقول برجسون ((أن حركة الزمن تمثل حركة الأحداث التي تؤثر فينا))[٣].

فقد وقع الفراق ولا امل في اللقاء في الحياة.. استسلام للواقع ((ففي مواقف الحشر نلقاكم ويكفينا)) انغلقت الدائرة بيأس تام.. ولكن الحركة غير المتوقعة، وبهذه السرعة الخاطفة التي تنقل المتلقي إلى عالم السعادة أيام الوصل يؤكد اضطراب الذات ومعاناتها النفسية.

أما ولادة النص فتكونت من تجربته العاطفية التي يحياها ويتعمق ببواطن الأشياء وأضفي عليها من روحه، فجاء النص صورة حية لمعاناته النفسية وانفعالاته وأحاسيسه ((فالانفعال الحقيقي هزة عاطفية في النفس))[٤] وليس هناك أعمق من

---

(١) قراءات في الشعر الاندلسي، أ.د صلاح جرار، ص٧٤.
(٢) م.ن:ص٧٠.
(٣) الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعيد عبد العزيز ، ص٣٤ .
(٤) منبعا الاخلاق والدين ، هنري برجسون ، ص٥٠ .

تجربة الحب إذ كان دافعاً أساسيا حمل الشعراء على قول أجمل القصائد المعبرة عن كوامن النفس(١).

لقد اعتمد ابن زيدون الجملة الفعلية بصيغة المضارع ضعف اعتماده على صياغة الماضي وهذا يشير إلى التداخل الزمني الذاتي، إذ عندما يستحضر الماضي يأخذ الصيغة الحالية . حالة ولادة النص .

إن الأفعال سواء أكانت ماضية أم مضارعة أم مستقبلية فهي تنهض بحركية النص وتجدد فاعلية الأحداث عبر الزمان والمكان وقد ورد في النص ((٢٩ جملة فعلية)) عصفت بكيان الشاعر فتأرجح بين حركة زمانها القاتلة.. وكان لها الأثر الكبير في رسم الصورة الفنية، إذ أن الشاعر ((حينما يكتب أنما هو يستبطن ذاته ، ويتأمل ماهو أنساني كلي فيها أي ما تشترك فيه الإنسانية جمعاء))(٢) والشعر الذاتي يتحول وبطرائق غير محسوسة إلى شعر تأملي يرى فيه كل إنسان شيئاً من نفسه(٣). وهذا ما حققه النص، من خلال اللغة التي رسم لنا صورة الذات الإنسانية المعذبة بسبب البعد بين طرفي ثنائية ((أنا / الأخر)) كما انه صور مشاعر الثبات على الحب والحنين إلى الحبيب البعيد القريب ، الغائب الحاضر، المنفصل المتصل... وكل ذلك يسهم في أعطاء النص حركية مستمرة بين المكان هنا والمكان هناك وبين الزمان الماضي والزمان الحاضر بصور موحية ففي الصورة الموحية نحس أن الالفاظ تحمل دلالات أبعد من دلالاتها الوضعية وتتلاشى الملامح الخارجية حيث يتحول كل جزء منها إلى رمز يموج بالحركة والعطاء المتواصل(٤).

وقال: (٥)

أَعَرْفُكِ راحَ في عُرْفِ الرياحِ   فهزَّ مَن الهَوى عِطفَ ارتياحي
وذكرُكِ ماتعرَّضَ ام عِدادٌ؟   غَصِصْتُ عليه بالعَذْبِ القَراح

---

(١) شعر الحب في العصر الاموي ، د. هناء جواد ص١٣١ .(بحث)
(٢) النظرية الرومانتيكية في الشعر ، سيرة ادبية ، كولريدج ، ص٧٠ .
(٣) النقد الادبي ، احمد امين ، ص١-٧٧ .
(٤) الصورة المجازية في شعر المتنبي ، خليل رشيد فالح ،ص١٣٤ .
(٥) الديوان:٤٨٧.

وهل انا منكِ في نشوات شوقٍ . هَفَتْ بالِعقل . أو نشَواتِ راح
لَعَمْرُ هواكِ ماوَرِيَتْ زِناَدٌ لوصلٍ منك طال لها اقْتِداحي
وكم اسْقَمْتِ من قلبٍ صحيحٍ بسُقْمِ جفونكِ المرضَى الصِّحاح

النص يصور انفعال ابن زيدون عندما هاجت في نفسه الاشجان .. وتذكر الاحباب وقد صاغ هذه القصيدة في رحلته الى اشبيلية ووضع المحقق لها عنوان

((زمان ندي)) ليكشف عن باطن النص الذي يحمل معاناة الشاعر المتأرجح بين اليوم والامس، الحاضر والماضي، السعادة والتعاسة، الارتياح والغليان، الحركة والسكون..((فبعدما طابت الريح فبحثت في نشوة وارتياحٍ ، فهل انتقل عبيرك الفواح الى امواج الرياح ؟)) وهذا تواصل بين الحقيقة والخيال وهنا يكمن ابداعه الفني وان ((عبقرية الموقف اذا وافت عبقرية الفنان، صنعت فناً يتجاوز حدود المكان والزمان معاً. ذلك أن الموقف ((الصادق)) بما امد من مشاعر وتعابير ، يكسب الالفاظ كثيراً من حدته ، وصرامته ، وتوقد احاسيسه)).[(١)]

ومن وسط بؤرة الاشعاع ((الذكرى)) ينطلق شاعرنا في صرخاته الابداعية معلنا هياج الوجع في ذاته بين الحين والاخر فيقول ((لقد هاجت ذكراك في نفسي اشجانا، لانها ذكرتني بصدك وهجرك ، فهل هي ذكرى عارضة ؟ أو هي مرض يعتادني حيناً بعد حين . فيكدر صفوتي ويجعلني اغص بالماء العذب..؟ وماذا اصابني في حبك ؟ اذهب الهوى بعقلي ام ذهبت به كؤوس السلاف؟

لقد تعددت اساليب الاستفهام بالنص لتعدد اشكال المعاناة الذاتية، وتعدد المواقف الضدية بين الماضي والحاضر وهذا مااعطى النص ابعادا جمالية، وقد ذهب كمال ابو ديب الى دراسة هذه الابعاد... وابرزها الاستمرارية والتكامل والتواشج في النظر الى الماضي والحاضر والقديم والجديد[(١)] ...

---

(١) فلسفة المكان في الشعر العربي، حبيب مؤنس، ص٩٢.
(١) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي، كمال ابو ديب، ص٢٣٤.

لقد تمكن الحب من قلب شاعرنا .. وعصفت الذكرى في نفسه.. وتعذبت الذات من البعاد فما بين الماضي والحاضر مسافات ومسافات وما بين سابق العهد وجديده اختلافات .. ولكنه مايزال يقسم بحق هواها الغلاب الذي جلب عليه الالام والاحزان ، وكم حاول ان ينال عطفها ويفوز بحبها فلم يقدح زندها ، ولم يعطف قلبها.

واستطاع ابن زيدون في هذا النص استرجاع الذات والمقصود باسترجاع الذات((هو ان تسترجع الشخصية ذاتها، وتستحضرها بصورة عفوية أو مقصودة ، فتبنى نتائجاً واحداثاً على هذا الاسترجاع)) (٢).

وبهذا الاسترجاع رسم اجمل الصور الفنية المعبرة عن صدق العاطفة وعمق المعاناة.

لقد اكتسب المكان في شعر ابن زيدون هويته من صدق الشاعر .. كما اثر المكان فيه فأكسبه هوية خاص، لذلك جاء معبراً عن تجربة انسانية خالدة.

---

(٢) منازل الرؤية، د. سمير شريف استيتيه ، ص٨٠.

اسم الطالـــــب : ساهرة عليوي حسين علوان العامري
عنوان الاتصال : كربلاء – حي المعلمين
عنوان الرسالة او الاطروحة : المكان في شعر ابن زيدون
الكلية / الجامعة : كلية التربية – جامعة بابل
الكلمات المفتاحية للرسالة : المكان – شعر – ابن زيدون

مختصر الرسالة (الخلاصة) :

يذهب هذا البحث الى دراسة المكان عند ابن زيدون من خلال تجربته الانسانية التي عكست الرؤية الشعرية للذات المبدعة .

يقع البحث في ثلاثة فصول يسبقها تمهيد وتتلوها خاتمة تضمنت النتائج التي تمخض عنها البحث ثم قائمة بمصادر الدراسة ومراجعها.

فقد عرضت في التمهيد المعنى اللغوي والاصطلاحي والفلسفي للمكان كما بينت اهمية المكان في الادب ثم وقفت عند ابن زيدون وتجربة المكان في شعره. اما الفصل الاول فخصص لدراسة تشكيلات ثنائية المكان الاليف والمكان المعادي الموضوع في مبحثين، المبحث الاول يهتم بدراسة المكان الموضوعي الواقعي الاليف. في حين خصص المبحث الثاني لدراسة المكان غير الاليف.

وفي الفصل الثاني درستُ تشكيل الدلالات المكانية في مبحثين، إذ درستُ في المبحث الاول دلالة المرأة وفي الثاني دلالة الطبيعة. اما الفصل الثالث فخصص لدراسة تشكيلات المكان الحلمي المتخيل وقد كان في مبحثين، الاول تمثل بدراسة المكان الحلمي المعيش المتمنى الرجوع اليه.

والثاني خصص لدراسة، المكان الحلمي غير المعيش المتمنى الحصول عليه.

وثمة كلمة اخيرة اشير فيها الى ان هذه الدراسة ليس من منهجها ان تعني بحياة الشاعر والظروف التي مرّ بها، لانها دراسة نصية تبحث عن المكان في شعر ابن زيدون الذي كان مبعث الحنين والحسرات والآهات ومحرك الشعور، والكاشف

عن اعماق الذات المعذبة بسبب فراقها للأهل والأحباب والمغتربة عن الاوطان . وكان شعره ظاهرة أدبية متميزة شكلا ومضمونا . وفي ضوء هذا التحليل سارت دراستي.

الخاتمة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الطويلة والممتعة برفقة شعر ابن زيدون . التي هدفت الى دراسة المكان في شعره، دراسة ادبية، على وفق رؤية جمالية تحليلية .

يمكن القول ان اهم النتائج التي توصل اليها الباحث تتلخص بالاتي :.

١ـ ان المكان حظي بعناية فائقة من الفلاسفة والمفكرين والدارسين قديما وحديثالانه فضاء معاشي يتماهى فيه الزمن.

٢ـ اكتسب المكان اهميته في شعر ابن زيدون لانه فنان مبدع استطاع أن يأخذ ملامح العالم الواقعي ويمزج فيه ذاته يرسم لوحته الفنية المعبرة. فأصبح هذا المكان أو ذاك خاص به. وقد جسدت لوحة ((الزهراء)) ذلك المكان الذاتي لشاعرنا.

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا   والافق طلق ومرأى الارض قد راقا

٣. اخذ المكان في شعر ابن زيدون مجموعة من التشكيلات الثنائية ابرزها تشكيلات المكان الاليف والمكان المعادي التي تمثل المكان الموضوعي، وقد يتداخل طرفي الثنائية الضدية في تشكيل فني ايحائي يتحول فيه المكان المعادي الى مكان أليف وبالعكس.

اما تشكيل الدلالات المكانية فظهرت عنده في تعدد الرموز والدلالات الاشارية للمكان من خلال دلالة المرأة ودلالة الطبيعة.

وبرزت تشكيلات المكان الحلمي المتخيل في شعر ابن زيدون من خلال خياله المبدع الذي يستطيع أن يجعل المتلقي في حدود مكانية ذات أبعاد جمالية فنية ولم يصف المكان بشكل مباشر بل وصف الذات التي رسمت المكان من خلال (الذات/الشاعر).

٤ـ لقد مثلت المرأة في شعر ابن زيدون عنصرا مهما فهي الوطن وهي الحب وهي الحياة. وقد دخلت صورتها مع تداخل صور الامكنة وتتزين بموجودات المكان ومن خلال ذلك تكونت الصور المكانية في سياق جمالي موحد.

٥ـ اكتسبت بعض الابنية كالمدن والقصور والقلاع دورها في بنائه الشعري عبر الوظيفة التي تؤديها ومن خلال المكانة التي تحتلها في قلوب الناس .

فالمدن الاندلسية ذلك المكان الجميل والتي تعد آية من آيات العمارة والهندسة الفنية في العصور الوسطى رسمها ابن زيدون في ابدع الصور الفنية.

٦. احتلت أماكن الطبيعة الخلابة والاماكن المائية حيزا كبيرا في شعره.

وصف الرياض والحدائق الفتاء والزهور والنبات والماء الرقراق الذي تهوا ليها النفوس العطشة .

٧. يمكن أن نعد ابن زيدون مصورا ماهرا لمشاهد الطبيعة . المنبثقة من امتزاج ثنائية (الحقيقة/الخيال) فلم يكن جمال المكان هو الذي دفعه الى هذا الابداع، بل كانت الذكرى هي بؤرة الاشعاع في المكان.

٨ـ لقد امتزج الوصف عند الشاعر بالنسيب، لذا كان شعره باقة يانعة من اجل الزهور، وعاش حياته بين روعة الطبيعة ولهفة الهيام.

٩. لقد اكتسب المكان في شعر ابن زيدون هويته من صدق المشاعر وعمق المعاناة، وشدة الاغتراب الذاتي كما اثر المكان فيه فأكسبه هوية خاصة، لذلك جاء معبرا عن تجربة إنسانية خالدة.

١٠. اما الزمان فيرتبط بالمكان لأن ادراك الزمان يتم من خلال المظاهر المكانية في العادة وقد وضح هذا الارتباط جليا في شعر ابن زيدون.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

📖 إبن زيدون عصره وحياته وأدبه، علي عبد العظيم، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، ١٩٥٥.

📖 إبن سينا فيلسوف النفس البشرية، عبده الحلو، بيت الحكمة، بيروت، ط١،١٩٦٧.

📖 الإتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، عبد الحميد جيده، مؤسسة نوفل، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٠.

📖 احلام اليقظة، د. جورج هنري، تعريب: ابراهيم حافظ، مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة، ١٩٥٠.

📖احمد بن المقري المتوفى سنة ١٠٤١هـ، طبع ليدن ج٢، سنة١٨٥٥-١٨٦١.

📖 أدباء السجون، عبد العزيز الحلفي، دار الكتاب العربي .

📖 الأزمنة والأمكنة، أبو علي محمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٦ هـ .

📖أساليب الاستفهام في الشعر الجاهلي، د٠ حسين عبد الجليل يوسف، مؤسسة المختار، القاهرة، دار المعالم الثقافية العامة، بغداد، ط١،٢٠٠١ .

📖 الأسس الجمالية في النقد العربي عرض وتفكير ومقارنة، د٠ عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٣،١٩٨٦ .

📖 الأسس المعنوية، عبد الفتاح الديدي، دار المعرفة للنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

📖 الإسلوبية- مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د٠ فتح الله احمد سليمان، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٠.

📖إشارات الإعجاز في مظان الايجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، تح: احسان قاسم الصالحي، دار الانبار للنشر، ط١، ١٩٨٩.

📖إشكالية المكان في النص الأدبي، ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦.

- 🕮 أصـول الفكـر الفلسـفي عنـد أبـي بكـر الـرازي، عبـد اللطيـف محمـد العبـد، مكتبـة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٧٧.
- 🕮 الأصول الفنيـة لـلأدب، د٠ عبـد الحميـد حسـن، القـاهرة، مكتبـة الأنجلـو المصـرية، ١٩٤٩.
- 🕮 أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، القاهرة، ط٦، ١٩٦٠ .
- 🕮 الأطلال في الشعر العربي دراسة جماليـة، محمـد عبد الواحد حجـازي، دار الوفـاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط١،٢٠٠٢ .
- 🕮 الإغتـراب فـي تـراث صـوفية الإسـلام، د٠ عبـد القـادر موسـى المحمـدي، بيـت الحكمة، بغداد،ط١، ٢٠٠١ .
- 🕮 الإغتـراب فـي الشـعر العباسـي فـي القـرن الرابـع الهجـري،د. سـميرة سـلامي، دار الينابيع، دمشق، ط١، ٢٠٠٠.
- 🕮 أقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١،١٩٩١ .
- 🕮 الأمـالي، أبـو علـي إسـماعيل بـن القاسـم القـالي البغـدادي (ت ٣٥٦هـ)، مطبعـة السعادة، مصر، ط٣،١٩٥٣ .
- 🕮 أمكنة الجسد، د٠ تركـي زنـاد بوشـارة، ترجمـة: زينـة نجـار كفرونـي، دار الصـباح الكويت،١٩٩٦.
- 🕮 انتصـار الزمن ـ دراسة فـي اسـاليب معالجـة الماضـي فـي الفكـر الاجتمـاعي، محمـد عبد الحسين الدعمي، دار افاق عربية، بغداد، ١٩٨٥.
- 🕮 الانتمـاء فـي الشـعر الجـاهلي، د. فـاروق احمـد سليم، دراسـة مـن منشـورات اتحـاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.
- 🕮 بحـث عـن لاوعـي الـنص الادبـي، د. احمـد درويـش، منشـورات المربـد، بغـداد، ٢٠٠٠.
- 🕮 بحـوث فـي الروايـة الجديـدة، ميشـال بوتور،ترجمـة: فريـد انطونيـوس، منشـورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

📖 بغية الملتمس، احمد بن يحيى الظبي(المتوفي سنة٥٩٩هـ)، مطبعة روحس بمدريد، ١٩٨٤.

📖 بلاغة العطف في القران الكريم ـ دراسة اسلوبية، د.عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١.

📖 بناء الرواية ـ دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا احمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤.

📖 البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٠.

📖 بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط١، ١٩٩٠.

📖 بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، تر: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال ـ المغرب، ١٩٨٩.

📖 البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر، د. ابراهيم السامرائي، دار الشرق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢.

📖تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين ابو الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥)، مطبعة بولاق، مصر، ج٩، (د.ت)

📖 تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين، احسان عباس، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٧.

📖 تاريخ الفكر الفلسفي، ارسطو، د. محمد علي ريان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦.

📖 تاريخ الفكر الفلسفي الفلسفة اليونانية من طاليس الى افلاطون، د. محمد علي ابوريان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥.

📖 تاريخ الفكر الفلسفي، يوسف كرم، لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٣٦.

📖 التجربة الانسانية في نونية ابن زيدون، د. سعيد حسين منصور، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٤.

📖 تجربة السجن في العصرالاندلسي، رشا عبدالله الخطيب، منشورات المجمع الثقافي ابوظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٩٩٩.

📖 التحليل النفسي والفن، د. أي شنايدر، تر: يوسف عبد المسيح، ثروة سلسلة الكتب المترجمة(١٣٢)، دار الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤.

📖 التحليل النقدي والجمالي للأدب، د. عناد غزوان، دار افاق عربية للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥.

📖 تخصيب النص، محمد الجزائري، الاردن، عمان، المطبعة الوطنية، ٢٠٠٠.

📖 تذوق النص الادبي وجماليات الاداء الفني، د. رجاء عيد، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة ـ قطر، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

📖 التراكيب اللغوية في العربيةــ دراسة وصفية تطبيقية، د. هادي نهر، كلية الاداب، الجامعة المستنصرية،١٩٨٧.

📖 تطور الصورة الفنية في الشعر الحديث، نعيم اليافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٣.

📖 التعريفات، الشريف الجرجاني، علي بن محمد(ت٨١٦هـ) مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٩.

📖 التفسير النفسي للادب، عز الدين اسماعيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

📖 التمثيل والمحاضرة، الثعالبي ابو منصورعبد الملك بن محمدبن اسماعيل، تح:عبد الفتاح محمد الحلو، مطبوعات دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١.

📖 تهذيب اللغة، ابو منصور محمد بن احمد الازهري(ت٢٧٠هـ) تح:(علي حسن الهلالي، مراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، (د.ت).

📖 تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، تر: محمد الربيعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤.

📖 الثابت والمتحول بحث في الاتباع والابداع عند العرب، ادونيس، دار الساقي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.

📖 ثورة الشعر الحديث من بود لير إلى العصر الحاضر، عبد الغفار مكاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج١، ١٩٧٢.

📖 جدلية الخفاء والتجلي ـ دراسات بنيوية في الشعر، كمال ابو ديب، منشورات دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

📖 جدلية الزمن، باشلار، ترجمة احمد خليل، المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط٢، ١٩٨٨.

📖 جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس، الحميدي، مصر، ١٩٥٢.

📖 جماليات الفنون، د. كمال عيد، الموسوعة الصغيرة(٦٩) دار الحرية للطباعة، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٠.

📖 جماليات المكان (مجموعة باحثين)(د. سيزا احمد قاسم واخرون)، مطبعة دار قرطبة، عيون المقالات للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨.

📖 جماليات المكان، جاستون باشلار، تر : غالب هلسا، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط١، ١٩٨٠.

📖 جمهرة اللغة، ابن دريد، ابو بكر محمد بن الحسن الازدي البصري (٣٢١هـ)، دار صادر بيروت عن مجلس دائرة المعرف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ط (اوفسيت)، ج٣، ١٣٤٥هـ.

📖 حدس اللحظة، غاستون باشلار، تعريب: رضا عزوز وعبد العزيز زمزم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

📖 الحركة والسكون، علي فهمي، مكتبة الفكر، طرابلس، ط١، ١٩٧٣.

📖 حركية الابداع ـ دراسات في الادب العربي الحديث، خالدة سعيد، دار العودة ـ بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

- الحسن ابن الهيثم، سعيد الدمرداش، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٩.
- الحكاية الجديدة، محمود خضير، جريدة الجمهورية، بغداد، ١٩٨٧/٨/٢٧.
- حلبة الكميت، شمس الدين محمد بن الحسن النواجي، المتوفي سنة ٨٥٩هـ، طبع بمصر، ١٩٣٨.
- حين ينكسر الغصن الذهني .. بنوية او طبولوجية، بيكرموتو، تر: جبار سعدون السعدون، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
- دائرة الابداع، شكري عياد، دار الياس العصرية، القاهرة، (د.ت).
- درس الابستموجيا، عبد السلام بتعين العالي وسالم يفوت، دار الشؤون الثقافية،١٩٨٦.
- الدفاع عن البلاغة، احمد حسن الزيات، مطبعة الاستقلال الكبرى، ط٢، القاهرة، ١٩٦٧.
- دلالة الالفاظ، د. ابراهيم انيس، القاهرة، ١٩٨٥.
- دلالة المكان في قصص الاطفال، ياسين النصير، دار ثقافة الأطفال، ط١، ١٩٨٥.
- دليل الدراسات الأسلوبية، د. جوزيف ميشال شريم، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان، ١٩٨٤.
- دليل الناقد الادبي، د. ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠١.
- دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، د. محسن اطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦.
- الديوان، كامل كيلاني، القاهرة، ١٩٢٤.
- ديوان ابن خفاجة، تح : مصطفى غازي، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٦٠.
- الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، د. عبد الواسع الحميري، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

📖 الذخيرة : ابي الحسن علي ابن بسام (ت ـ٤٢هـ)، اصدرت جامعة فؤاد القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، القسم الاول/ج١، ١٩٣٩ـ١٩٤٢.

📖 رسائل الحروف، لابي نصرا لفارابي، تح:د. محسن مهدي، بيروت، ١٩٧٠.

📖 رسائل الكندي الفلسفية، تح:محمد عبد الهادي ابو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠.

📖 الرمز، المجالات، والدلالات ـ سعيد بنكراد، عن شبكة المعلومات.

📖 الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، محمد فتوح احمد، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨.

📖 الروائي والارض، عبد المحسن طه، دار الرشيد للطباعة، بغداد، العراق، ١٩٩١.

📖 الرواية والمكان ـ دراسة في فن الرواية العراقية، ياسين النصير، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

📖 الزمان والمكان واثرهما في حياة الشعر الجاهلي ـ دراسة نقدية نصية، د. صلاح عبد الحافظ، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٢.

📖 الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة، سعيد عبد العزيز، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠.

📖 زمن الشعر، ادونيس، دار الفكر، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.

📖 الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام، عبد الاله الصائغ، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٦.

📖 الزمن في الادب، هانزميرهوف، تر: اسعد مرزوق، مطبعة سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٢.

📖 الزمن والرواية، أ.أمندلاو، تر: بكر عباس، مراجعة احسان عباس، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٧.

📖 سايكولوجية الإبداع في الفن والادب، يوسف ميخائيل اسعد، مشروع النشر المشترك، دار الشؤون الثقافية العامة(افاق عربية) بغداد والهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة(د.ت).

📖 سايكولوجية الشعر، نازك الملائكة، دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٣.

📖 سياسة الشعر، اودنيس، دار الادب، بيروت، ط١، ١٩٨٥.

📖 سيرة الحب والجمال في حياة العقاد، د. محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٤.

📖 شرح الاشموني على الفية ابن مالك، تح:محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ج٢، ١٩٥٥.

📖 الشعر بين الابداع والواقع، صبيح ناجي القصاب، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩.

📖 الشعر العذري في ضوء النقد الحديث ـ دراسة في نقد النقد، محمد بلوحي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠.

📖 ـ الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين اسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ط٣، ١٩٨١.

📖 الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، اليزابيث دور، ترجمة د. محمد ابراهيم الشوش، بيروتن، ١٩٦١.

📖 شعرية المكان في الرواية الجديدة، خالد حسين حسن، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، ١٤٢١هـ.

📖 الشعر والصوفية، كولن ولسون، تر:عمر الديراوي ابو مجلة دار الادب، بيروت، ط١، ١٩٧٢.

📖 الشعر والزمن، جلال الخياط، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٧٥.

📖 شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث ـ دراسة تحليلية، د. عزت حسن، دمشق، ط١، ١٩٦٨.

📖 شكسبير والانسان الموحد، جانيت ديلوف، تر: جبرا ابراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٦.

🕮 صدمة المستقبل، الفين توفلر، ترجمة وتلخيص عبد اللطيف الخياط، طبعة مشتركة بين دار الانوار (بغداد) ودار الفكر(دمشق)، (د.ت).

🕮 الصلة : ابو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)، طبع مدريد، ١٩٨٢.

🕮 صورة البحر في الشعر العربي الحديث بالخليج(١٩٦٠ـ١٩٨٠)، هيا محمد عبد العزيز الدرهم، دار الثقافة، قطر، ط١، ١٩٨٦.

🕮 الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني ـ منهجا وتطبيقا، احمد علي دهمان، دمشق، ٢٠٠٠.

🕮 الصورة الشعرية، سي.دي ـ لويس، تر: د. احمد نصيف الجنابي واخرين، مراجعة د. عناد غزوان، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٢.

🕮 الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، د. نصرت عبد الرحمن، منشورات مكتبة الاقصى، عمان، الاردن، ١٩٧٦.

🕮 الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري،د. علي البطل، دار الاندلس للطباعة، ط١، ١٩٨٠.

🕮 طريق الفيلسوف، جان فال، تر: احمد حمدي محمود.

🕮 عالم الرواية، رولان بورتوف ـ ريال اونيلية، تر: فؤاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩١.

🕮 عالم القصة في سرد طه حسين، احمد السماوي، التعاضدية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، ١٩٩٧.

🕮 عصر ابن زيدون، د. جمعة شيخة، الكويت، ٢٠٠٤.

🕮 العزلة والمجتمع، نيقولاي برديانيق، تر: فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية، ط١، ١٩٨٦.

🕮 العقد الفريد، ابو عمر احمد بن محمدبن عبد ربة الاندلسي (ت٣٢٨هـ) تح: احمد امين وزملائه، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

📖 علم المعاني، محمد جيجان الدليمي وقيس الاوسي وحذام الالوسي، جامعة بغداد، ١٩٩٣.

📖 علم النفس والادب، سامي الدروبي، دار المعارف بمصر، (د.ت).

📖 العمل الادبي من المعنى الى التشكيل ـ مدخل معرفي اسلامي، عباس امير، دار الفكر، افاق معرفة متجددة، ط١، اذار ٢٠٠٥.

📖 العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢.

📖 غائب طعمة فرمان روائيا، د. فاطمة عيسى جاسم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، بغداد، ٢٠٠٤.

📖 الفضاء الروائي في الغربة، منيب محمد البوريني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٣.

📖 الفضاء المسرحي ـ دراسة سيميائية، اكرم اليوسف، دار المشرق، مغرب، دمشق، ١٩٩٤.

📖 فلسفة المكان في الشعر العربي، حبيب مؤنسي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

📖 فن الادب ـ المحاكاة، د. سهير القلماوي، مركز الكتب الادبية، ١٩٧٨.

📖 فن الشعر، د. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت،ط٥، ١٩٧٥.

📖 فنون الادب، هـ.ب.تشارلين، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة، ١٩٤٥.

📖 الفيزياء النسبية والفلسفة ـ تأملات في الفكر العلمي المعاصر، معن النقري، دار الحقائق، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

📖 الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة جعفر رجب، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٨١.

📖 في الادب الاندلسي، د. جودت الركابي، مكتبة الدراسات الادبية، دار المعارف بمصر، ط٢، ١٩٦٦.

- في الرؤيـة الشـعرية المعاصـرة، د. احمـد الجنـابي، مطبعـة دار الحريـة، بغـداد، (د . ت).
- في الشعر الاوربي المعاصر، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٠.
- في النحو العربي نقد وتوجيه، د. مهدي المخزومي، المطبعة العصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت، ١٩٦٤.
- في نظرية الرواية - بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة ٢٤٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت، ١٩٩٨.
- في النقد الادبي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٧٧.
- في النقد الجمالي - رؤية في الشعر الجاهلي، د. احمد محمود خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- في النقد الحديث - دراسة في مذاهب نقدية حديثة واصولها الفكرية، د. نصرت عبد الرحمن، مكتبة الاقصى، الاردن، ط١، ١٩٧٩.
- القارئ والنص والعلامة الدالة، سيزا قاسم، المجلس الاعلى للثقافة، الكويت، ٢٠٠٢.
- القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز ابادي(ت٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.
- قراءات في الشعر الاندلسي، أ.د صلاح جرار، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط١، ٢٠٠٧.
- قضية الشعر الجديد، د. محمد النويهي، القاهرة، ١٩٦٤.
- قلائد العقيان، الفتح بن خاقان، طبعة مصر، ١٣٢٢هـ.
- قواعد النقد الادبي، لاسل ابركرومبي، تر: محمد عوض محمد، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨٦.
- كتاب ساعات بين الكتب، العقاد، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٩٥٠.

📖 كتاب الشفاء ـ القسم الخاص بالنفس، ابن سينا، تح: ياكوش، المجمع العلمي تشيكو سلوفاكي براك، ١٩٥٦.

📖 كشاف اصطلاحات الفنون، محمد اعلى بن علي الفاروقي التهانوي، تح:د. لطفي عبد البديع، ترجمة النصوص الفارسية، د. عبد النعيم محمد حسنين، راجعه الاستاذ امين الخولي، مطبعة دار الكتاب العربي، الموسسة المصرية العامة للتأليف والنشر(د.ت).

📖 الكلمات والاشياء ـ التحليل البنوي لقصيدة الاطلال في الشعر الجاهلي، دراسة نقدية، د. حسن البنا عز البدين، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

📖 الكليات ـ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ابو البقاء ايوب موسى الحسيني الكوفي(ت ١٠٩٤هـ)، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٦.

📖 لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

📖 لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية، د. عدنان حسين العوادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.

📖 ما قبل الفلسفة، الانسان في مغامرته الفكرية الاولى (هـ. فرانكفورت وجماعته) تر: جبرا ابراهيم جبرا، مكتبة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.

📖 المتخيل الشعري، اساليب التشكيل ودلالة الرؤية في الشعر العراقي الحديث، د. محمد صابر عبيد .

📖 المثلث، ابن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ) تح ودراسة صلاح مهدي علي الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٢.

📖 مدخل جديد الى الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩.

- المرأة الانموذج في الرواية العربية الحديثة، شمس الدين موسى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٨.
- المرأة عبر التاريخ، عبد اللطيف قصاب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢.
- المرأة في شعرية حمورابي، احمد سلمان السيد، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩٨.
- مشكلة الحياة، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، ط٢، ١٩٧١.
- مسائل فلسفة الفن المعاصرة، جان ماري جوير، ترجمة د. سامي الدروبي، دمشق، ط٢، ١٩٦٥.
- مصادر دراسة ابن زيدون، د. عدنان محمد غزال، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، الكويت، ٢٠٠٤.
- المعجم الادبي، جبور عبد النور، دار الملايين، بيروت،ط١، ١٩٧٩.
- معجم السيميئيات، سعيد بنكراد (الانترنيت).
- المعجم الفلسفي، د. جميل صنيا، دار الكتاب اللبناني ودار المدرسة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢.
- معجم مفردات الفاظ القران، ابو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني (ت٥٠٣هـ)، تح: نديم مرعشلي، مطبعة التقدم العربي، دار الكتاب العربي، ١٣٩٢هـ ، ١٩٧٢.
- معجم مقاييس اللغة، احمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، (د.ت).
- مفتاح العلوم، لابي يعقوب بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تح: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- المقابسات، التوحيدي، ابو حيان (ت٤٠٠هـ) حققه وقدم له محمد توفيق حسين، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٠.
- مقدمة لدراسة الصورة، نعيم اليافي، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨٢.

📖 المكان في الشعر الاندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي (٤٨٤هـ - ٨٧٩)، د. محمد عويد محمد، ساير الطربولي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٥.

📖 منازل الرؤية منهج التكامل في قراءة النص، د. سمير شريف استيته، ط١، دار وائل للنشر، الاردن، ٢٠٠٣.

📖 منبعا الاخلاق والدين، هندي برجسون، ترجمة سامي الدروبي والدكتور عبد الاله عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١.

📖 منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري، د. قاسم البريسم، دار الكنوز الادبية، ط١، ٢٠٠٠.

📖 الموازنة، الامدي، تحليل ودراسة : قاسم مومني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق.

📖 موسوعة الفلسفة، د. عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤.

📖 الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الانماء العربي، ط١، ١٩٨٦.

📖 الموسوعة القرآنية، تطبيق ابراهيم الانباري وعبد الصبور مرزوق، مطابع سجل العرب، القاهرة (د.ت).

📖 الموضوعية والبنيوية - دراسة في شعر السياب، د. عبد الكريم حسن، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٨٣.

📖 نظرات في تاريخ الأدب الاندلسي، كامل كيلاني، القاهرة، ١٣٤٢هـ.

📖 نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٧.

📖 النظرية الروماتيكية في الشعر - سيرة ادبية، كولريدج، تر: د. عبد الحكيم حسان، دار المعارف، مصر، ١٩٧١.

📖 النقد الادبي، د. احمد امين، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

🕮 نقد الحداثة، د. حامد ابو احمد، مؤسسة اليمامة الصحفية، ط١، ١٩٩٤.

🕮 نقد الشعر في المنظور النفسي، د. ريكان ابراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩.

🕮 النقد الفني ـ دراسة جمالية وفلسفية، شيروم ستوليبتر لينتد، تر: د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب، ط٢، ١٩٨١.

🕮 نهاية الارب في معرفة قبائل العرب، ابو العباس احمد القلقشندي (ت٨٢١هـ)، طبع بغداد، سنة ١٣٣٢هـ.

🕮 وحي القلم، مصطفى صادق الرافعي، ج٣، المكتبة التجارية، مصر، (د.ت).

🕮 الوطن في الادب العربي، ابراهيم العنبري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢.

🕮 وفيات الاعيان، احمد بن خلكان المتوفي سنة ٦٨١هـ، المطبعة الامرية بالقاهرة سنة ١٢٩٩هـ.

الرسائل الجامعية

📖 اشكالية الابداع والمعرفة الجمالية دراسة في فلسفة الفن والجمال (رسالة ماجستير) حامد سرمك حسن، كلية الاداب، جامعة القادسية، ٢٠٠٢.

📖 الاصالة والتجديد في القصيدة الاندلسية في القرن الخامس الهجري(رسالة ماجستير) جميلة محمد عبد، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤.

📖 البناء الفني لشعر الحب العذري (اطروحة دكتوراه)، سناء حميد البياتي، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩.

📖 دلالات المكان الشعري - دراسة في شعر حسيب الشيخ جعفر، (رسالة ماجستير)، ناجي عباس مطر الركابي، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

📖 الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الاول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ)، (اطروحة دكتوراه)، غني صكبان سلمان، كلية التربية، بغداد، ٢٠٠١.

📖 شعر الحب في العصر الاموي - دراسة ثنائيات الشكل والمضمون، (اطروحة دكتوراه)، د. هناء جواد عبد السادة العيساوي، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٥.

📖 الغربة في الشعر الاسلامي (من عصر الرسالة المحمدية الى نهاية الخلافة الراشدية) (رسالة ماجستير)، زينب كامل عبد المحسن، كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٠.

📖 الصورة الفنية في شعر ابن زيدون - دراسة نقدية (اطروحة دكتوراه)، عبد اللطيف يوسف عيسى، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٩٩.

📖 الصورة في شعر اوس بن حجر (رسالة ماجستير)، احمد محمود الحديثي، كلية التربية، جامعة الانبار، ١٩٩٨.

📖 الصورة المجازية في شعر المتنبي (اطروحة دكتوراه)، خليل رشيد صالح، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٥.

- الفضاء الشعري عند السياب (اطروحة دكتوراه)، لطيف محمد حسن، كلية الاداب، جامعة الموصل، ١٩٩٤.
- قصص الرحلة الخيالية ـ دراسة فنية مقارنة (رسالة ماجستير)، خضير عليوي السعيدي، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧ .
- المكان عند شعراء الغزل العذري في العصر الاموي، (رسالة ماجستير)، بشائر امير عبد السادة، كلية التربية، جامعة بابل، ٢٠٠٣.
- المكان في الشعر العربي قبل الاسلام (رسالة ماجستير)، حيدر لازم مطلك، كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٩٨٧.
- المكان في الشعر المهجري (رسالة ماجستير)، حكيم صبري عبد الله، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠١.
- المكان ودلالاته في شعر السياب (رسالة ماجستير)، محمد طالب البجاري، كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٩٨.
- النبات ودلالته الموضوعية والفنية في الشعر الاندلسي في عصر الطوائف (رسالة ماجستير) ، عبد الكريم محمد الجنابي، كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

الدوريات

🕮 الإيقاع الموسيقي في شعر ابن زيدون، د. شوقي ضيف، مجلة الكتاب/عددخاص بالذكرى الالفية لميلاد ابن زيدون (٣٩٤هـ)، اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ببغداد، جامعة القاهرة، الرباط ١٥-١٢ تشرين الثاني ١٩٧٥.

🕮 تداعي الذات في شعر ابن زيدون، د. هناء جواد، مجلة جامعة بابل،مج٩، ع١ تموز/٢٠٠٤.

🕮 تشكيل الفضاء في المتخيل الروائي، عواد علي، مجلة عمان، ٣٩٤ لسنة/١٩٩٨.

🕮 التشكيلات الثنائية المكانية في ديوان ابن زيدون، د. هناء جواد، مجلة جامعة بابل، سلسلة(ب) العلوم التربوية، مج٩،ع٢ شباط، ٢٠٠٤.

🕮 جدل الحب والحزن في شعر الخنساء، د. هناء جواد، مجلة جامعة بابل، مج٩، ع٢، ٢٠٠٤.

🕮 جماليات المكان ـ اعتدال عثمان، مجلة الاقلام، ع٢، ١٩٨٦.

🕮 جماليات المكان في شعر عرار، د. تركي المغيضي، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، مج٤، ع٢، عمان، ١٩٨٩.

🕮 الحلم والحزن في الشعر العربي المعاصر، د. جورج طراد، مجلة افاق عربية، السنة الثامنة، ع٦، شباط.

🕮 الحنين الغربة في الشعر العربي، د. نوري حمودي القيسي، مجلة معهد البحوث والدراسات، ع٢، ١٩٨٤.

🕮 دلالة المكان في مدن الملح، عبد الرحمن منيف ومحمد شواكية، مجلة ابحاث اليرموك، ع٢ لسنة١٩٩١.

🕮 شعرية الحركة السردية، محمد صابر عبيد، المجلة الثقافية، الاردن، ع٤٢، ١٩٩٨.

📖 الصورة الشعرية في شعر عبيد بن الابرص(دراسة في المنبع الحسي والعقلي)، د. فايز عارف القرعان، مجلة البصائر، مج١/ع١/جامعة اليرموك١٩٩٦.
📖 عالم الزمان ـ المكان ـ عند قدماء العراقيين، زهير محمد، مجلة افاق عربية، ع١٨/ لسنة ٩بغداد، ١٩٨٤.
📖 الليل في الشعر الجاهلي، حميد رشيد فالح، مجلة اداب الرافدين، العراق، ع ٩، ١٩٨٧.
📖 مشكلة المكان الفني، يوري لوتمان، تر: سيزا قاسم ـ الف، مجلة البلاغة المقارنة، ع٦، ربيع ١٩٨٦.
📖 مقدمة دراسة المكان في العمل الروائي، احمد زياد محبك، مجلة البحرين الثقافية، ع٢، ٢٠٠٠.
📖 المكان والرؤية الابداعية، د. نادية غازي العزاوي، مجلة افاق عربية، ٤، ٣، ١٩٨٩.
📖 ملامح المكان في قصيدة الحرب في العراق، د. مؤيد اليوزبكي، مجلة الرافدين، ع٣١، ١٩٩٨.
📖 هجرة النصوص وجماليات القراءة والتلقي، د. خليل الموسى، مجلة الموقف الادبي، اتحاد الكتاب العرب في سوريا، العدد٤١٧، السنة الخامسة والثلاثون كانون الثاني
📖 وجهة نظر في حب ولادة، د. هناء جواد، مجلة جامعة بابل، مج٩ العدد١/لسنة٢٠٠٤.
📖 الوجودية في الجاهلية، فالتر براونه، مجلة المعرفة السورية، ع٤، السنة٢، ١٩٦٣.

محاضرات مخطوطة

🕮 محاضرات د. هناء جواد عبد السادة على طلبة الدكتوراه ، مادة تحليل نص ادبي، ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤.

🕮 محاضرات د. هناء جواد عبد السادة على طلبة الدكتوراه ، مادة تحليل نص ادبي، ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥.

University of Babylon

The Spatiality in Ibn Zeidoon's Verse

A Thesis

Submitted to the council of the college of education, university of Babylon in partial fulfillment of the requirement for the degree of master of philosophy and arts in Arabic

By:

Sahirah Eleiwi Hussein Al – Ameri

Supervised by:

Assist Prof. Dr. Henaa Jewad Abdul Sadeh

2007 A.D. **1426 A.H.**

Abstract

The current research studies the place according to Ibn Zeidoon, through his human trial that reveals poetic vision for the creative ego. Two motives made me choose this topic. The first is my admiration in Ibn Zeidoon's poetic trial. The second is a desire. I may can't find a reason – that my study should contain philosophical and psychological dimensions. Certainly, any literary trial deals with the place should have such dimensions.

I tried to get benefit from different researches preceded this one. One of those was a study by Dr. Habeeb Munisy entitled "the place philosophy in Arabic poetry". Another was a study by Hassan Mayeed Al – Vbeidy, entitled "the place theory in Ibn Sina's philosophy. And the third was by Dr. Muhammad Awyid Muhammad Sayir. In spite of their interest in place subjects and the similarity with the current subject, we followed a total different style from the previous studies. However, the book (Ibn Zeidoon's Diwan" was a main resource for our study. The research consists of three chapters preceded by introduction and a preface and followed by a conclusion that surveys the most important results, and a bibliography.

The preface explained the linguistic, terminological and philosophical meanings for the place, as well as the place importance in literature. There was a pause at Ibn Zeidoon and his trial in his verse.

Chapter one was devoted to study the tame place double formation and the wild place, and the whole subject was in two parts. The first part concerns with studying the factual subjective tame place, while the second part was devoted for studying the non – tame place.

Chapter two studies place indicative formation. This chapter has two parts. The first part studies the woman indicative. The second part studies the nature indicative.

Chapter three was devoted for studying the dreamy imaginary place formation, which lies in two parts. The first studies the living dreamy place that has a hope back to live in. The second part studies the non – living dreamy place, wishing to be obtained.

Finally, I would like to say that the difficulty of the topic goes beyond the research's fear of such study (man / place) to the comprehensiveness of the topic itself.

At last, I refer that this study does not concern with the poet's life and circumstances, for it is a textual study search about the place in Ibn Zeidoon's verse which is the stimulus of lonying, sighs pains and feelings. It is the revealer of deep tortured ego after leaving relatives and lovers and departuring homes. His verse was a distinct literary phenomenon, form and content. In the light of this analysis, my study was conducted.